

أَعْلَمُ الْمُسْلِمِينَ

١٥

عبد الله بن عباس رضي الله عنه

هَبْرُ الْأُمَّةِ وَرَجْمَانُ الْقُرْآنِ

تَأْلِيفُ

الدكتور مصطفى سعيد الحن

دار القلم
دمشق

أَعْلَمُ الْمُسْلِمِينَ
١٥

عبد الله بن عباس عقته

حَبْرُ الْأُمَّةِ وَرَجْمَانُ الْقُرْآنِ

تَأْلِيفُ

الدكتور مصطفى سعيد الخن

دار القلم
دمشق

الطبعة الرابعة
١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

حقوق الطبع محفوظة

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

رشد - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧

بيروت - ص.ب : ١١٣/٦٥٠١

هَذَا الرَّجُلُ

« نعم ترجمان القرآن ابن عباس ... ولا يلومني أحد على حب ابن عباس » .

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

« ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس ، أكثر فقهاً ، وأعظم خشية ، إن أصحاب الفقه عنده ، وأصحاب القرآن عنده ، وأصحاب الشعر عنده ، يصدرهم كلهم من وادٍ واسع » .

عطاء بن أبي رباح

« كان ابن عباس من الاسلام بمنزل ، وكان من القرآن بمنزل ، وكان يقوم على منبرنا هذا فيقرأ البقرة وآل عمران ، فيفسرهما آية آية » .

الحسن البصري

« جبر هذه الأمة ، ومفسر كتاب الله . روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً كثيراً ، وعن جماعة من الصحابة ، وأخذ عنه خلق من الصحابة ، وأمم من التابعين ، وله مفردات ليس لغيره من الصحابة ، لاتساع علمه ، وكثرة فهمه ، وكمال عقله ، وسعة فضله ، ونبل أصله ، رضي الله عنه وأرضاه » .

الامام ابن كثير

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد
وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الهداة المهديين .

وبعد :

فأول ما قرع سمعي عن ابن عباس فيما أحسب - وأنا
طالب علم حديث السن - صورته وهو راكب خلف النبي صلى
الله عليه وسلم على دابة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطبه
ويقول : ((يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ
الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن
بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك
إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء
لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت
الصحف)) .

ثم إنني كلما أوغلت في طلب العلم ، ومررت بشيء مما يتعلق
بابن عباس رضي الله عنهما، ازدادت صورته في نفسي وضوحاً ورسوخاً
حتى أخذت بمجامع قلبي ، وتعمقت في نفسي ، ووددت لو أنه
أتى لي أن أكون صورة ولو مصفرة عن هذا الإنسان المسلم
الواعي ، إذ وجدت فيه المثال العملي للمسلم في مختلف جوانب
حياته .

لقد أعجبت بابن عباس غلاماً حَدَّثَنَا تهوى نفسه الإسلام ،
ويخترق الإسلام شفاف قلبه وهو بعدُ لم يبلغ العاشرة من عمره ،
بينما يكون أثرابه لا يعنيه من أمر العقيدة والفكر شيء ، بل
تراهم يصرفون جلَّ أوقاتهم في هذا السن على اللعب واللهو
وترجية الوقت في أعمال لا طائل تحتها .

وأعجبت بابن عباس يافعاً يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويسمع منه ، ويدخل عليه في حياته الخاصة ، ليتخذ منه القدوة
الصالحة ، والأسوة الحسنة ، فما إن يسمع من رسول الله صلى
الله عليه وسلم شيئاً أو يراه يفعل شيئاً إلا ويهرع الى القيام به
وتطبيقه من غير تراخٍ ولا تمهل .

وأعجبت به شاباً في مقتبل الشباب يسعى إلى أبواب أهل
العلم بأدب وتواضع لياخذ عنهم ما سمعوه من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ويتحمل في سبيل ذلك وطأة الحر ، وشدة لذعة
البرد من غير تملل ولا ضجر .

وأعجبت به كهلاً يتصدر المجالس ويجلس بين يديه بغاة العلم
وظلابه ، حتى الكبار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ياخذون عنه العلم في شتى جوانب العلم .

وأعجبت به ملجأً ومقصداً إذا ما نزلت بواحد من المسلمين
مشكلة لجأ اليه ليحل له هذه المعضلة ، فيجد عنده الحلَّ الصحيح
والجواب الشافي .

وأعجبت به خطيباً مصقفاً ، إذا أخذ في الكلام استولى على

مجامع القلوب ، واتى بالمقصود في اجمل بيان . فكان جديراً
بقول حسان :

إذا قال لم يترك مقالا لقائل بملتقطات لا ترى بينها فضلا

كفى وشفى ما في النفوس ولم يدع

لذي إربه في القول جداً ولا هزلاً

سموت إلى العليا بغير مشقة فلت ذراها لا دنيأ ولا وغلا

وأعجبت به فارساً في ميدان القتال كما أعجبت به فارساً في

ميدان المقال ، وأعجبت به سياسياً بارعاً يعرف من أين تؤكل

الكتف ، وأعجبت به مناقشاً ومهاوراً قوي الحجة والبرهان ،

يفلق على خصمه منافذ القول ، وأعجبت به حجة في اللغة والأدب

والبيان كما أعجبت به شاعراً تجري على لسانه أفانين القول في

مستوى من الحكم الحسان ، وأعجبت به عف اليد عف اللسان .

وخلاصة القول أني ما توجهت إلى فضيلة من الفضائل إلا

وجدتها فيه بادية واضحة للعيان . فملك عليّ جوانب نفسي

وعددته المسلم الذي تكاملت فيه صفات الإيمان . وعددته جديراً

بقول القائل .

فتى مثل صفو الماء ليس بباخل عليك ولا مهدي ملاماً لباخل

ولا قائل عوراء تؤذي جليسه ولا رافع رأساً بعوراء قائل

ولا مسلم مولى لأمر يصيبه ولا خالط حقاً مصيباً بباطل

ولا رافع أحدوة السوء معجباً بها بين أيدي المجلس المتقابل

وقول القائل :

ألا هلك الحلو الحلال الحلالح (١)

ومن عنده حلم وعلم ونائل

(١) الحلالح : السيد الشجاع .

وذا خطب يوماً إذا القوم افهموا

تصيب مرادي قوله ما يحاول

بصير بعورات الكلام إذا التقى شريجان بين القوم : حقوباطل

أتي لما يأتي الكرام بسيفه وإن أسلمته جنده والقبائل

وليس بمعطاء الظلامة عن يد ولا دون أعلى سورة المجد قابل

وقد أخرج الأخ الكريم الأستاذ محمد علي دولة سلسلة سمائها

« اعلام المسلمين » ورغب - وهو يحسن الظن بي - أن اختار

علماً من هؤلاء الأعلام ، اكتب عنه موضحاً جوانب العظمة والقوة

فيه ، ليتبين كم للإسلام من فضل على الإنسانية ، إذ أنشأ من

اتباعه منارات وضوى في كل طريق من طرق العلم والمعرفة

والأخلاق والبطولة والتضحية والإيثار والترفع عن الدنيا وغير

ذلك من الفضائل ، وأن هذه الأمة الإسلامية هي خير الأمم بما

حملته للعالم من خير عظيم « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تآمرون

بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » .

ومن غير تردد ولا طويل بحث وقع اختياري على هذه الشخصية

التي ملكت عليّ جوانب نفسي كما قلت وأعلمته بذلك ، فلم

يتردد - جزاه الله خيراً - في ذلك ، وأقطعني الحديث عن هذه

الشخصية الفذة ، واستحث همتي كي أبشر ذلك وأفرغ منه

في زمن قريب كي يتمكن من نشره .

طفقت أتبع أخبار ابن عباس من كل كتاب وقع تحت يدي ،

واتلقف ما اتصف به من علم وفقه من المصادر التي تعنى بإبراز ذلك حتى تجمع لديّ الكثير الكثير من ذلك .

ثم إنني انتقلت إلى مرحلة الانتقاء وضم كل مسألة إلى قريناتها، ولقد خصصت وقتاً معيناً في الأسبوع لأقوم بإعداد هذا الكتاب عن هذا المفرد العلكم .

لكن الذي حدث أنه طراً عليّ ما اقصاني تمام الإقصاء عن هذا الموضوع ، ولم يترك مجالاً أن أفكر فيه بلكه الكتابة والتمحيص والتدقيق والانتقاء ، إلا أنني خجلاً من الأستاذ دولة كنت في أوقات متباعدة جداً تحن نفسي إلى مراجعة شيء مما كتبت ثم الزيادة عليه بالنزر اليسير .

إلا أنني فوجئت أن كثيراً من الأوراق المتعلقة بهذا البحث قد فقدت من بين يديّ ، ولست أدري إلى الآن في أي أرض تكون ، مما أسفت له الأسف الشديد، وإنّ فقد بنات الأفكار ربما يكون مثيلاً لفقد الأولاد الأبرار .

عنت ادراجي وطفقت مرة ثانية أجمع ما يتعلق بابن عباس ، ثم حدث أيضاً ما صرفني عن ذلك بكليتي ، ثم تكرر هذا مراراً ، حتى هممت أن أنقض يدي من هذا الأمر .

ولما لم يبق في القوس منزع وبلغ بي الحياء من أخي أبي سليم محمد علي ما بلغ ، أزمعت أمري على أن أواصل البحث واقطع من علائقي ما استطعت وأكون حلس بيتي حتى أفرغ من هذا الأمر .

ويسر الله لي بعد ذلك ، وانتهيت من الكتاب على حالة كنت
أصور في نفسي قديماً أن يكون على حال أفضل وشكل أكمل ،
ولكن الأقدار أرادت أن يكون جهد المقل في مثل هذه الظروف
التي مرت .

وبدهي أنني قد استغنيت عن جملة من الأخبار التي اطلعت
عليها ودونتها رغبة في الاختصار .

على أنني قد عقدت العزم - إن فسخ الله لي في الأجل - أن
أضع كتاباً في ابن عباس يكون جامعاً لكل ما يتعلق بهذا المسلم
العلم .



لقد أردت أن يكون هذا الكتاب محتوياً على مقدمة وخمسة
فصول وخاتمة قصيرة :

أما المقدمة فهي هذه التي قدمت فيها هذا الكتاب إلى
القراء ، وعرضت فيها ما علمته ، ومنه الظروف التي مرت على
وضع هذا الكتاب .

وأما الفصل الأول : فقد تناول سيرة ابن عباس : ولادته -
نشأته - حياته مع الرسول - حياته مع عمر .

وأما الفصل الثاني : فقد تناول شخصيته العلمية ، وبيان
تفوقه في الفقه والتفسير والحديث .
وأما الفصل الثالث : فقد تناول الجانب السياسي من حياة
ابن عباس .

واما الفصل الرابع : فقد تناول متفرقات كان من الصعب جمعها تحت إطار من هذه الاطر الانفة الذكر .

واما الفصل الخامس فقد تناول بعض اقواله وما قيل فيه .

واما الخاتمة فهي هذه الكلمات الصغيرة التي توضح كيف هوى هذا الكوكب ، وانطقات هذه الشعلة التي كان يستضيء بنورها الجيم الفغير من الناس ، وكيف اودع اللحد الذي هو مصير كل كائن حي .

لقد آليت على نفسي ان لا اذكر من اخباره إلا ما كان في بطون الكتب الصحيحة المعتمدة ما وجدت إلى ذلك سبيلا .

وبعد :

فها هو ذا الكتاب بين يديك أيها القارئ ، لم ادّع انني قد آتيت في طياته بالعجب العجائب وبما لم تستطعه الأوائل ، بل انني أقول : هذا ما استطعت أن افعله في مثل ظروف التي انا فيها ، فان وجدت في ما يسرك ويرضيك وينال منك الإعجاب كان هذا زيادة في نعم الله علي ، ومن واجبي أن اقابلها بما يمكنني الله منه من الشكر ، وإن وجدت فيها شيئا آخر فلا عليك أن تنقذني ، وقديماً قال عمر : رحم الله من أهدى إلى عمر عيوبه . وقديماً قال العماد الاصفهاني : اني رايت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه الا قال في غده : لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان افضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من اعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر .

إنني لاتقدم بالشكر إلى الأخ الزميل الصديق الأستاذ محمد علي دولة ، اشكره أولاً لأنه عني بإخراج هذه السلسلة من اعلام

المسلمين، تلك السلسلة التي جاءت في وقت أحوج ما يكون الشباب والناشئة إليها .

إن هذه السلسلة ما جاءت إلا لتوضح المنهاج التربوي الاسلامي الذي وضعه سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ورعاه حق رعايته ، فكان أكله هؤلاء الأعلام الذين هم القمم فيما هم فيه .

لقد أقام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ذلك المربي الأول البرهان على أن المنهاج الحق لا بد وأن ينتج النتائج الحق .
إن هؤلاء الأعلام إن هم الا الفرسات التي غرسها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يمينه ، وسقاها بمبادئ الإسلام ، فأنت أكلها في كل حين بإذن ربها .

لقد كان كل علم من هؤلاء الأعلام ملكاً يسير على الأرض ولسان حاله يقول : أنا الصورة العملية التطبيقية لمنهاج الله في الأرض .
وأشكره ثانياً إذ اختارني للمساهمة في هذا العمل المبرور ، مع أنني من الأناس المغمورين الذين لا يشار إليهم بالبنان ولا يدور ذكرهم والإشادة بفضلهم ومواهبهم وعبقريتهم لسان .

ولا أنسى أن أشكر الأخ الصديق الزميل الأستاذ محيي الدين مستو الذي بذل جهداً ووقتاً في سبيل الوصول بهذا الكتاب إلى حيز التنفيذ والإخراج .

وختاماً أحمد الله العظيم على عظيم فضله ، وأسأله سبحانه أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، وأن يعفو عن زلاتنا ويستتر هفواتنا ، إنه هو الرب الرحيم الجواد الكريم .

الدكتور مصطفى سعيد الخن

الفصل الأول

لمحات من سيرته وعلميته

اسمه وكنيته ونسبه :

اسمه : عبد الله ، ولقد كان هذا الاسم من الأسماء المعروفة المتداولة قبل الإسلام ، وهو اسم أبي النبي صلى الله عليه وسلم ، وجاء الإسلام فحجب على التسمية به ، وجعله من خير الأسماء التي تختار للأبناء ، ففي الحديث : « إن أحب أسمائكم إلى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن (١) » .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى به ، فلقد سمى ولداً له من خديجة رضي الله عنها بعبد الله ، وسمى جملة من أولاد الصحابة رضوان الله عليهم بذلك .

ففي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « ذهبت بعبد الله بن أبي طلحة الأنصاري إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ولد ورسول الله صلى الله عليه وسلم في عبادة يهنأ بغيراً له (٢) ، فقال : هل معك تمر ؟ فقلت نعم ، فناولته تمرات

(١) رواه مسلم في أول باب من كتاب الأدب ، ورواه ابن ماجه في الباب الثلاثين من كتاب الأدب .
(٢) يهنأ البعير : يظليه بالقطران .

فالقاهن في فيه فلاكهن ، ثم ففر فا الصبي فمجّئه في فيه ،
فجعل الصبي يتلمظه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
حب الانصار التمر ، وسماه عبد الله (١) » .

وفي الحديث أيضاً : « خرجت أسماء بنت أبي بكر حين هاجرت
وهي حبلى بعبد الله بن الزبير ، فقدمت قباء فنفست بعبد الله
بقباء ، ثم خرجت حين نفست الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليحنكه ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ،
فوضعه في حجره ، ثم دعا بتمرّة ، قالت عائشة : فمكثنا ساعة
نلتمسها قبل أن نجدها ، فمضغها ثم بصقها في فيه ، فإن أول
شيء دخل بطنه لريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قالت
أسماء : ثم مسح صلى الله عليه وسلم عليه وسماه عبد الله (٢) . . » .

وكما سمى بعبد الله أمر بالتسمية بعبد الرحمن ، ففي الحديث
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : « ولد لرجل منا غلام فسماه
القاسم ، فقالوا : لا تكنيك بأبي القاسم ولا ننعمك عيناً ،
فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، فقال : اسم
ابنك عبد الرحمن (٣) » .

(١) رواه مسلم في كتاب الادب .

(٢) رواه مسلم في كتاب الادب . ومعنى صلى الله عليه دعا له

بالخير .

(٣) رواه البخاري في كتاب الادب . وقد ورد النهي في الأحاديث

الصحيحة عن التكني بأبي القاسم ، ورجح الإمام النووي أن النهي
عن التسمية بذلك خاصاً بحياته عليه الصلاة والسلام دفعاً
للالتياس .

وإنما كان هذان الاسمان وما ما ثلهما مما اضيف إلى اسم من أسماء الله من أحب الاسماء إلى الله تعالى ، لما فيها من الاعتراف بالعبودية ، والتعظيم لله سبحانه بالربوبية ، ولذلك وصف الله رسوله بالعبودية لله في أشرف المواضع ، قال الله تعالى : « وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا (١) » .

كنيته :

أبو العباس ، كني باسم أكبر أولاده وهو العباس (٢) .

نسبه :

هو عبد الله بن العباس ، بن عبد المطلب ، بن هاشم ، بن عبد مناف ، بن قصي ، بن كلاب ، - واسمه حكيم بن مرة - ابن كعب ، بن لؤي ، بن غالب ، بن فهر - واسمه قريش - بن مالك ، بن النضر ، بن كنانة ، بن خزيمة ، بن مدركة ، بن إلياس ، بن مضر ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان . ثم يرتقي نسبة إلى أن يصل إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام .

فأنت ترى من هذا النسب أنه ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم الأدنى ، حيث يلتقي نسبه بنسب الرسول في جده الأدنى عبد المطلب بن هاشم ، فهو إذاً هاشمي قرشي ، والبيت

(١) سورة الجن (١٩) ولبدأ : جماعات بعضها فوق بعض ، تعجباً مما رأوه من عبادته ، واقتداء أصحابه به ، وإعجاباً بما تلاه من القرآن .

(٢) سير النبلاء : ٢٢٥/٣ .

الهاشمي هو خير بيوتات قريش ، واشرفها نسباً وحسباً .
ففي الحديث عن وائلة بن الأسقع رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ،
واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ،
واصطفاني من بني هاشم (١) » .

هذا ولقد كان من المعروف عن الرسول صلى الله عليه وسلم
أنه كان إذا انتسب يذكر نسبه متسلسلاً الى عدنان ويقف عنده
ولا يتعداه . قال ابن دحية : أجمع العلماء - والاجماع حجة -
على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما انتسب الى عدنان ولم
يتجاوز (٢) . وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه
وسلم كان إذا انتسب لم يجاوز معدن بن عدنان ، ثم يمسك
ويقول : كذب النسابون مرتين أو ثلاثاً (٣) .

هذا ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أن عناية المسلمين بالأنساب
راجع الى أنه إذا انضم الى النسب النقي الإيمان والعمل الصالح
فقد بلغ الانسان الفاية والشرف من جميع الاطراف ، ولقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تجدون الناس معادن ،
خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا (٤) » ولقد حرص
الاسلام على الإصهار الى البيوت الشريفة والاصول الطاهرة ، كي

(١) رواه مسلم في صحيحه .

(٢) الأنوار المحمدية للنبهاني : ١٧

(٣) السيرة الحلبية ٢٨/١

(٤) رواه البخاري عن أبي هريرة .

تنتقل الى الفروع صفاتهم واخلاقهم ومزاياهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تزوجوا في الحجز الصالح فإن العرق دسّاس (١) » وهذا ما أيده العلم الحديث في الدراسات النفسية .

أبوه :

هو العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يكنى بأبي الفضل ، ولد قبل النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين ، كان إليه في الجاهلية السقاية ، وأقره عليها الإسلام ، حضر بيعة العقبة مع الأنصار قبل أن يسلم ، حضرها ليستوثق لابن أخيه من الأنصار ، وشهد بدرًا في صفوف المشركين - وكان قد خرج إليها مكرها - فأسر فافتدى نفسه (٢) ، ورجع الى مكة فيقال انه أسلم وكنم إسلامه (٢) عن قومه بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصار يكتب الى النبي عليه الصلاة والسلام بالأخبار ، ثم هاجر قبيل الفتح ، وتلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجحفة ، ورجع معه ، وشهد الفتح .

وورد في بعض الأخبار ما يشعر أن اسلامه كان قبل غزوة بدر ، فقد أخرج ابن إسحق عن عكرمة قال : قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاماً للعباس بن

(١) رواه ابن عدي عن أنس ، والحجز : الأصل والمنبت .

(٢) انظر الى عدل الاسلام فانه لم يفرق بين عم الرسول وغيره حينما كان كل منهما مشركاً ، فإنه لا قرابة مع غير الايمان انظر سيرة ابن هشام ١/١٧٨

(٣) انظر سيرة ابن هشام ١/٦٤٦ .

عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، فأسلم
العباس ، وأسلمت أم الفضل واسلمت ، وكان العباس يهاب
قومه ويكره خلافهم ، وكان يكتنم إسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرق
في قومه (١) ، والمعروف أن أبا رافع أسلم قبل بدر .

وثبت العباس مع الرسول عليه الصلاة والسلام يوم حنين ،
قال في حقه النبي صلى الله عليه وسلم : « من آذى العباس فقد
آذاني ، فإنما عم الرسول صنيو أبيه (٢) .
كان الرسول عليه الصلاة والسلام يجلّه ويعظمه ، ينزله
منزلة الوالد من الولد ، ويقول : « هذا بقية آبائي » .

وكان العباس ذا رأي وعقل تام وافٍ ، وكان سمحاً جواداً ،
روى سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس : « هذا العباس بن عبدالمطلب
أجود قریش كفأ وأوصلها (٣) » .

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يعترفون بفضله
ويشاورونه ويأخذون برأيه ، وقد كان عمر بن الخطاب يستسقي
به إذا قحط الناس . ثبت في صحيح البخاري عن أنس رضي الله
عنه ، أن عمر خرج يستسقي وخرج بالعباس معه يستسقي

(١) انظر حياة الصحابة ٣٨٧/٤

(٢) رواه الترمذي . والصنو : المثل .

(٣) رواه الإمام أحمد .

به ، وقال : « اللهم إنا كنا إذا قحطنا توسلنا إليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا . قال : فيُسْقَوْنَ (١) » .

توفي في المدينة المنورة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب وقيل من رمضان سنة اثنتين وثلاثين للهجرة ودفن بالبقيع (٢) .

أمه :

هي أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث الهلالية ، أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم وشقيقتها ، أسلمت قبل الهجرة فيما قيل ، وقيل بعدها ، وقال ابن سعد : أم الفضل أول امرأة آمنت بعد خديجة .

ومما يؤيد أنها قد أسلمت قبل الهجرة ما ذكره ابن عباس نفسه فقال : « كنت أنا وأمي من المستضعفين » . والمستضعفون هم الذين عذرهم الله من وجوب الهجرة عليهم والفرار بدينهم من دار الكفر .

وقد شهدت أم الفضل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ، وهي التي بعثت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الحجة في اليوم التاسع من ذي الحجة بقدح فيه لبن ، فشربه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام الناس ليبين لهم

(١) البخاري : ١٦/٢ .

(٢) انظر في ترجمة العباس أسد الغابة لابن الاثير ١٦١/٧

والإصابة لابن حجر ٣٠/٤ .

أنه غير صائم ، وقد كانوا قد تماروا في ذلك ، وقد استفاد بعض العلماء من ذلك كراهية صيام هذا اليوم لمن هو بعرفة تأسيساً واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ لو كان صيامه فضيلة لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بالمسارعة إليها (١) .

ولأم الفضل أختان أخريان من أمها ، وهما : سلمى وقد تزوجها حمزة بن عبد المطلب ، عم الرسول وسيد الشهداء ، وأسماء وقد تزوج بها جعفر بن أبي طالب شهيد مؤتة ، ثم تزوج بها أبو بكر رضي الله عنه ، ثم تزوج بها بعده علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهي أسماء بنت عميس الخثعمية . وهؤلاء الأخوات الأربع كلهن قد أسلمن ، وتزوج بهن خيار الناس ، أولهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى كريب عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم : « الأخوات الأربع مؤمنات : أم الفضل ، وميمونة ، وأسماء ، وسلمى (٢) » .

ولها أخت من أبيها هي لبابة الصغرى ، وهي أم خالد بن الوليد رضي الله عنها ، وقد اختلف في إسلامها ، والصحيح أنها قد أسلمت ، وعاشت الى ما بعد وفاة ابنها خالد بن الوليد رضي الله عنه (٣) ، فخالد إذاً هو ابن خالة ابن عباس وابن اخت ميمونة رضي الله عنهم جميعاً (٤) .

(١) انظر السيرة الحلبية ٣٦٧/٢ .

(٢) انظر الاصابة : ٢٦٦/٨ فما بعدها .

(٣) انظر الاصابة : ١٧٨/٨ فما بعدها .

(٤) انظر البخاري ٢٠٠/٦ .

فأنت ترى ان امه أم الفضل من بيت شريف ، قد أصهر الى
أشراف قريش في الجاهلية والإسلام ، فأنجب سادة قادة ، كانوا
من أعظم الرجال التي يعتز بها الإسلام .

ولادته :

اختلفت الروايات في السنة التي ولد فيها عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما ، فقد جاءت رواية عن عمرو بن دينار قال :
ولد ابن عباس عام الهجرة ، وهذا يقتضي أن عمره حينما توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، وهذا مروى عن
شعبة وهشام وأبي عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ،
عن ابن عباس قال : « توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا
ابن عشر سنين مختون - زاد هشام - وقد جمعت المحكم على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : وما المحكم ؟ قال :
المفصل » (١) .

وهناك رواية أخرى تذكر أنه ولد قبل الهجرة بثلاث
سنوات ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر بالشَّعْب شعب
أبي طالب ، من قبل قريش (٢) .

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٢٩٥/٨ - ٢٩٦ وانظر سير
النبلاء ٣/٢٢٤ .

(٢) شعب أبي طالب مكان خارج مكة ، وقد اجتمعت كلمة
قريش على منابذة بني هاشم وبني المطلب وإخراجهم اليه والتضييق
عليهم بمنع حضور الأسواق ، وأن لا يناكحهم وأن لا يقبلوا لهم
صلحاً أبداً ، ولا تأخذهم بهم رافة حتى يسلموا رسول الله
صلى الله عليه وسلم للقتل . انظر السيرة الحلبية ١/٤٤٩

قال مسلم بن خالد الزنجي المكي : عن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال : « لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشَّعب ، جاء أبي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا محمد ، أرى أم الفضل قد اشتملت على حمل ، فقال : لعلَّ الله أن يقرَّ أعينكم ، قال ، فلما ولدتني أتى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في خرقة ، فحنكني بريقه » . قال مجاهد : فلا نعلم أحداً حنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بريقه غيره .

وفي رواية أخرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعلَّ الله أن يبيض وجوهنا بفلام ، فولدت عبد الله بن عباس » . هذا ولقد حقق الله رجاء رسوله في ابن عباس ، فخرج رجلاً تبيض به الوجوه ، وترتفع به الرؤوس ، ويفخر به في المحافل . ولعلَّ هذا القول هو أرجح الأقوال عند العلماء ، حتى إن الواقدي قد ادعى عليه الإجماع عند أهل العلم .

روى الواقدي من طريق شعبة عن ابن عباس أنه قال : ولدت قبل الهجرة بثلاث سنين ونحن بالشَّعب ، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن ثلاث عشرة سنة .

ثم قال الواقدي : وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل العلم (١) . وقال الواقدي أيضاً : لا خلاف أنه ولد في الشَّعب وبنو هاشم محصورون ، فولد قبل خروجهم منه بيسير ، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين ، ثم قال وهذا أثبت مما نقله أبو بشر (٢) .

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٢٩٥/٨

(٢) انظر الانوار المحمدية للنبهاني ٥٧٦

واحتج الواقدي على قوله بأن ابن عباس كان قد ناهز الحلم عام حجة الوداع ، وحجة الوداع كانت في السنة العاشرة ، ولم يلبث بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قليلاً ثم توفي . قيل عاش بعدها واحداً وثمانين يوماً (١) .

ويؤيد ما قاله الواقدي قول الزبير بن بكار : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولابن عباس ثلاث عشرة سنة (٢) .

هذا وقد روى أبو داود الطيالسي عن شعبة ، عن أبي إسحق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن خمس عشرة سنة مختون (٣) . وهذا يقتضي أنه قد ولد قبل الهجرة بخمس سنين ، وأيد هذا القول ابن كثير ، وقال : وهذا هو الأصح ، ويؤيده ما ثبت في الصحيحين ، ورواه مالك عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس قال : « أقبلت ركباً على حمار أتان وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بمنى الى غير جدار ، فمررت بين يدي بعض الصف ، وأرسلت الأتان ترتع ، ودخلت الصف فلم ينكر ذلك عليّ (٤) احد ، ومناهزة الاحتلام مقاربة البلوغ ومدانته ، وعندني أنه لا حجة له في هذا الحديث ، لأن مقاربة الاحتلام لا تدل

(١) انظر سير النبلاء ٢٢٦/٣ .

(٢) انظر سير النبلاء ٢٢٦/٣ .

(٣) انظر سير النبلاء ٢٢٦/٣ .

(٤) هذا لفظ البخاري : ٢٧/١ . انظر البداية والنهاية

لابن كثير ٢٩٦/٨ .

على مقارنة الخمس عشرة ، لان الانسان قد يناهز الاحتلام وهو في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة ، سيما في البلاد الحارة كالحجاز ، فإن البلوغ يكون في سن مبكرة ، ومثل هذا ايضا يقال في حديث البخاري عن سعيد بن جبير : سئل ابن عباس مثل من أنت حين قبض النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : أنا يومئذ مختون ، وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك (١) . فلعل ما ذهب اليه الواقدي من انه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وكانت سنه عند وفاة الرسول ثلاث عشرة سنة هو الأصح .

هل ابن عباس أصغر إخوته :

قال ابن كثير في البداية والنهاية في ترجمة ابن عباس : « وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين ، وهو والد الخلفاء العباسيين ، وهو أخو إخوة عشرة ذكور من أم الفضل للعباس ، وهو آخرهم مولداً (٢) ثم ذكر بعد ذلك أن آخر أولاد العباس هو تمام وأنشد في ذلك شعراً . قال وقد كان بنو العباس عشرة ، وهم : الفضل ، وعبد الله ، وعبيد الله ، ومعبد ، وقثم ، وعبد الرحمن ، وكثير ، والحارث ، وعون ، وتمام ، وكان أصغرهم تمام ، ولهذا كان يحمله ويقول :

تموا بتمام فصاروا عشرة يارب فاجعلهم كراماً بررة
واجعلهم ذكراً وأنم الثمرة (٣)

(١) البخاري : ١٤٤/٧ .

(٢) انظر البداية والنهاية ٢٩٥/٨ .

(٣) البداية والنهاية : ٣٠٦/٨ .

وهذا يدل على ان عبد الله بن عباس لم يكن بأصغر إخوته ، بل إن كثيراً منهم أصغر منه ، ولقد جاء في ترجمة أخيه عبيد الله أنه أصغر منه بسنة (١) . وقال ابو عمر : لكل ولد العباس رؤية والصحة للفضل وعبد الله (٢) . وهذا يقضي أنه لم يكن احد اكبر من عبد الله من اولاد العباس الا الفضل الذي كان يكنى به أبوه وأمه (٣) .

هذا وما ذكره ابن كثير أن اولاد العباس العشرة كلهم من أم الفضل لبابة ليس بصحيح ، فلقد ورد في ترجمة تمام أن أمه أم ولد (٤) . وفي ترجمة كثير أن أمه رومية (٥) .

قال في سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب : « العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وبنوه يقال لهم العباسيون ، وهم بطن من بني عبد المطلب ، وكان له رضي الله عنه من الولد تسعة اولاد، وهم : الفضل وبه كان يكنى ، وعبد الله حبر الامة ، وعبيد الله ، وقثم ، وعبد الرحمن ، ومعبد ، وتمام ، وكثير ، والحارث ، والستة الاولون أهم لبابة بنت الحارث من بني هلال بن عامر بن صعصعة ، ويقال

(١) انظر الاصابة : ١٩٨/٤ .

(٢) انظر الاصابة : ٥١/٢ .

(٣) انظر الاصابة : ٢١٢/٥ .

(٤) انظر الاصابة : ١٩٤/١ .

(٥) انظر الاصابة : ٣١٧/٦ .

ما رُوي قبور اخوته أشد تباعداً من أربعة من بنيهِ : عبد الله بالطائف ، وعبيد الله بالمدينة ، وقثم بسمرقند ، ومعبد بأفريقية (١) .

وعن الكلبي قال : أبعد قبور اخوة على الأرض قبور أولاد أم الفضل الهلالية أم ولد العباس بن عبد المطلب : واحد بالمدينة ، وآخر بالطائف ، وآخر بالشام مات في طاعون عمواس في سلطان عمر رضي الله عنه ، وعبد الله بن العباس الحبر دفن بالطائف وصلى عليه محمد بن علي ، وآخر بأفريقية ، وآخر بسمرقند ، والفضل ابن العباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم مات في طاعون عمواس بالشام ، وعبيد الله بن عباس الجواد مات بالمدينة ، وقثم ابن العباس شبيه النبي صلى الله عليه وسلم مات بسمرقند زمن معاوية في إمارة سعيد بن عثمان ، وعبد الرحمن بن العباس قتل بأفريقية زمن عمر رضي الله عنه (٢) .

هذا ولقد كانت أمه منذ صغره تتوسم فيه ملامح السيادة ، وعلائم التفوق والنبوغ ، وكانت تقول وهي ترقصه :

تكلت نفسي وتكلت بكري إن لم يسدّ فهِراً وغير فهِر
بالحسب العدّ وبذل الوفر حتى يوارى في ضريح القبر (٣)

(١) سبائك الذهب لمحمد أمين البغدادي السويدي : ٧١ .
وانظر في شأن تباعد قبور الاخوة النوادير للقالبي ١٩٩ .

(٢) النوادير لأبي علي القالي : ١٩٩/٣ .

(٣) الأمالي للقالبي : ١١٤/٢ .

إسلامه :

مهما قيل في زمن اسلام العباس أبيه ، فإن الروايات تتحدث
تقدم اسلام عبد الله ابنه على غزوة الفتح بزمن غير يسير .

جاء في صحيح البخاري عن ابن ابي مكيلة أن ابن العباس تلا
« الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان . . »

قال : كنت أنا وأمي ممن عذّر الله . وفيه عن سفيان بن عبيد
الله قال سمعت ابن عباس قال . « كنت أنا وأمي من
المستضعفين (١) » .

وجاء في صحيح البخاري تعليقاً : كان ابن عباس رضي الله
عنهما مع أمه من المستضعفين ، ولم يكن مع أبيه على دين قومه ،
وقال - أي ابن العباس - الاسلام يعلو ولا يعلو (٢) .

هجرته :

ومع تقدم اسلامه واسلام أمه فإنه لم يتح له أن يهاجر الا
قبيل فتح مكة ، وذلك بعد أن اسلم ابوه فهاجرا معاً ، فاتفق
لقياهما النبي صلى الله عليه وسلم بالجحفة ، وهو ذاهب لفتح مكة ،
فرجعا وشهدا معه فتح مكة (٣) ، وكان فتح مكة في السنة الثامنة
من الهجرة ، صبيحة يوم الجمعة لعشرين ليلة خلت من رمضان (٤) .

(١) البخاري : ١٨١/٥ .

(٢) البخاري : ٩٦/٢ وانظر فتح الباري : ١٤٣/٣ .

(٣) البداية والنهاية : ٢٩٦/٨ وانظر سير النبلاء : ٢٥٥/٣ .

(٤) نور اليقين للخضري : ٢١٠ .

وعلى هذا يكون انتقال ابن عباس الى دار الهجرة سنة الفتح ، ولقد بايعه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن هاجر وهو بعد صغير لم يبلغ الحلم ، وفي هذا ما فيه من أخذ العهد على الصغار أن يلتزموا بأوامر ربهم ، ويدافعوا عن عقيدتهم ، كما يؤخذ ذلك على الكبار من نساء ورجال سواء بسواء .

أخرج الطبراني عن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم : « أن النبي صلى الله عليه وسلم بايع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم وهم صغار لم يَبْغُوا - لم تنبت لحاهم - ولم يبلغوا (١) » .

صفته وحليته :

كان رضي الله عنه وسيماً ، جميلاً ، مديد القامة ، مهيباً ، كامل العقل ، ذكي النفس ، من رجال الكمال (٢) قال أبو عبد الله ابن مندة : كان أبيض طويلاً ، مشرباً صفرة ، جسيماً وسيماً ، صبيح الوجه ، له وَفْرَةٌ يخضب بالحناء (٣) .

وقال ابن جريح : كنا جلوساً مع عطاء في المسجد الحرام ، فتذاكرنا ابن عباس ، فقال عطاء : ما رأيت القمر ليلة اربع عشرة الا ذكرت وجه ابن عباس (٤) .

(١) انظر حياة الصحابة : ٣٧٩/١ .

(٢) سير النبلاء : ٢٢٥/٣ :

(٣) المصدر السابق : ٢٢٦ .

(٤) سير النبلاء : ٢٢٧/٣ .

وعن مسروق قال : كنت اذا رايت ابن عباس قلت : اجمل الناس ، فاذا نطق قلت : افسح الناس ، فاذا تحدث قلت : أعلم الناس (١) .

ولقد كان ابن عباس رجلاً طويلاً بيّن الطول . وكان يقال : ان علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كان الى منكب عبد الله وكان عبد الله الى منكب العباس ، وكان العباس الى منكب عبد المطلب . ولقد كان علي بن عبد الله فارعاً في الطول .

روى المبرّد عن التوزي قال : طاف علي بن عبد الله بالبيت وهناك امرأة عجوز قديمة ، وعلي قد فرغ الناس كأنه راكب والناس مشاة ، فقالت : من هذا الذي فرع الناس ؟ فقل : علي بن عبد الله بن العباس ، فقالت : لا إله إلا الله ، إن الناس ليرذلون ، عهدي بالعباس يطوف بهذا البيت كأنه فسطاط أبيض (٢) .

وعن ابن جريج قال : كنا جلوساً مع عطاء بن أبي رباح في المسجد الحرام ، فتذاكرنا ابن عباس وفضله ، وعلي بن عبد الله بن عباس في الطواف ، وخلفه ابنه محمد بن علي ، فعجبنا من تمام قامتهما وحسن وجوههما ، فقال عطاء : وأين حسنهما من حسن عبد الله بن عباس ما رأيت القمر ليلة أربع عشرة وأنا في المسجد الحرام طالعاً من جبل أبي قبيس إلا ذكرت وجهه ابن عباس ، ولقد رأيتنا جلوساً معه في الحجر إذ أتاه شيخ قديم بدوي من هذيل يهدج على عصاه ، فسأله عن مسألة فأجابه ،

(١) سير النبلاء : ٣/٣٣٦ .

(٢) الكامل للمبرّد : ٢/٢٩ .

فقال الشيخ لبعض من في المجلس : من هذا الفتى ؟ فقالوا : هذا عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، فقال الشيخ : سبحان الذي مسح حسن عبد المطلب الى ما ارى . فقال عطاء : سمعت ابن عباس يقول : سمعت ابي يقول : كان عبد المطلب اطول الناس قامة واحسن الناس وجهاً ، ما رآه قط شيء إلا احبه (١) .

وعن ابي اسحق : رايت ابن عباس رجلاً جسيماً قد شاب مقدم رأسه وله جمة . قال ابو عوانة عن ابي حمزة : كان ابن عباس إذا قعد اخذ مقعد رجلين (٢) .

لباسه :

كان ابن عباس يحب ان يظهر اثر نعمة الله عليه ، فكان يتأنق في مظهره وملبسه ، إلا أنه كان لا يتجاوز في ذلك الحد المشروع . ولقد قال الله تعالى : « قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » فلقد كان ابن عباس يلبس الثياب ذات الاثمان العالية ، ويتطيب ويحسن من مظهره ما قدر .

عن ابي الجويرية قال : رايت إزار ابن عباس الى نصف ساقه أو فوق ذلك ، وعليه قطيفة رومية وهو يصلي .

وعن كريب قال : رايت ابن عباس يقيم بعمامة سوداء ، فيرخي شبراً بين كتفيه ومن بين يديه .

وعن عثمان بن ابي سليمان : ان ابن عباس كان يتخذ الرداء بألف درهم .

(١) أخبار مكة المشرفة للأزرقي : ٢٣١/١ .

(٢) الاصابة : ٩١/٤ .

وعن عكرمة : كان ابن عباس يلبس الخز ويكره الصمت (١) .
وعن عكرمة قال : كان ابن عباس إذا مرَّ في الطريق قالت
النساء على الحيطان : امرء المسك أم مر ابن عباس (٢) .

عيشه في بيته :

عن الضحاك قال : ما رأيت بيتاً أكثر خبزاً ولحماً من بيت
ابن عباس (٣) .

أولاده :

كان له رضي الله عنه جملة اولاد اكبرهم العباس وبه يكنى ،
وعلي أبو الخلفاء وهو أصغرهم ، والفضل ، ومحمد ، وعبيد الله ،
ولبابة ، وأسماء (٤) .

عبادته وورعه :

لقد عاش ابن عباس حياته الأولى في كنف رسول الله صلى الله
عليه وسلم واطلع على عبادته وخشيته من الله تعالى ، فكان يتلقى
دروساً عملية في عبادة الله والاخلاص له ، ثم صحب من بعده
الخليفة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين التقى المتعبد الورع ، فلا عجب
بعد ذلك أن ينشأ محباً لعبادة الله مقبلاً عليها ، خائفاً منه سبحانه ،
تاركاً للشبهات ، وقائفاً عند حدود الله . ولقد وصف كثير ممن

-
- (١) سير اعلام النبلاء : ٢٣٨/٣ . والصمت هو الثوب الذي
جميعه إبريسم لا يخالطه قطن ولا غيره .
(٢) المصدر السابق : ٢٢٧/٣ .
(٣) المصدر السابق : ٢٣٥/٣ .
(٤) سير النبلاء : ٢٢٥/٣ .

عائشه واتصل به عبادته وورعه وخشيته من الله سبحانه ، وإليك بعض ذلك .

عن عبد الله بن أبي مليكة قال : صحبت ابن عباس من مكة الى المدينة ، فكان يصلي ركعتين فإذا نزل قام شطر الليل ، ويرتل القرآن حرفاً حرفاً ، ويكثر في ذلك من التسبيح والنحيب (١) .

وعن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : قال ابن عباس : ماندمت على شيء فاتني في شبابي إلا أنني لم أحج ماشياً ، ولقد حج الحسن ابن علي خمساً وعشرين حجة ماشياً ، وإن النجائب لتقاد معه ، ولقد قاسم الله ماله ثلاث مرات حتى إنه يعطي الخف ويمسك النعل (٢) .

وفي البخاري : أن ابن عباس كان يبعث رجلاً إذا قيل طلع صلي ركعتين (٣) .

وعن سماك : أن ابن عباس سقط على عينيه الماء فذهب بصره ، فاتاه هؤلاء الذين ينقبون العيون ويسيلون الماء ، فقالوا : خلّ بيننا وبين عينيك ، نسيل ماءهما ، ولكنك تمكث خمسة أيام لاتصلي (يعني قائماً) قال : لا والله ولا ركعة واحدة ، إني حدثت أنه من ترك صلاة واحدة متعمداً لقي الله عزّ وجلّ وهو عليه غضبان (٤) . كأنه رضي الله عنه من ورعه كان يعتقد أن عدم القيام بركن من أركان الصلاة على هيئته الأصلية إخلال بالصلاة كلها ، ولا يرى أن

(١) سير أعلام النبلاء : ٣/٣٣٦ . وصفة الصقوة : ١/٧٥٥ .

(٢) سير أعلام النبلاء : ٣/١٧٣ .

(٣) البخاري : ٣/١٥٢ .

(٤) صفة الصقوة : ١/٧٥٦ . وحياة الصحابة : ٣/٥٤١ .

مداواة عينيه سبب يبيح له أن يفعل ذلك ، وهذا منه مبالغة
في الورع .

ولقد ذكر خليل بن ايبك الصفدي رأي الفقهاء في أعمى قيل
له اترك الصلاة أياماً فإنك تبصر ، فهل يجوز له ترك الصلاة قال :
إذا قيل لأعمى : اترك الصلاة أياماً فإنك تبصر مع العلاج ،
أو قيل له : صلّ مستلقياً إذا كان قادراً على القيام ، وقال له ذلك
طبيب موثوق بدينه وبعلمه جاز له الاضطجاع والاستلقاء على
الأصح ، ولو قال له : إن صليت قاعداً أمكنت مداواتك قال
إمام الحرمين : يجوز له القعود قطعاً ، ومفهوم كلام غيره أنه على
وجهين (١) .

ولقد بلغ من تقواه وورعه رضي الله عنه ، أنه كان لا يحيد
عما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن لم يكن ذلك من
الأمور الواجبات ، وإنما هو من قبل المستحسانات .

أخرج أحمد عن بكر بن عبد الله أن أعرابياً قال لابن عباس
رضي الله عنهما : ما شأن آل معاوية يسقون الماء والعسل ، وآل
فلان يسقون اللبن ، وأنتم تسقون النبيذ ؟ أمن بخل بكم أم حاجة ؟
فقال ابن عباس : ما بنا بخل ولا حاجة ، ولكن رسول الله صلى
الله عليه وسلم جاءنا ورديفه اسامة بن زيد رضي الله عنهما ،
فاستسقى فسقيناه من هذا ، - يعني نبيذ السقاية - فشرب منه
وقال : « أحسنتم هكذا فاصنعوا » .

(١) نكت الهميان في نكت العميان : ٥٨٥٧ هـ .

وعن جعفر بن تمام قال : جاء رجل الى ابن عباس رضي الله عنهما فقال : أرايت ما تسقون الناس من نبيذ هذا الزبيب ؟ أسنة تتبعونها أم تجدون هذا أهون عليكم من اللبن والعسل ؟ فقال ابن عباس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى العباس وهو يسقي الناس فقال : اسقني ، فدعا العباس بعباس من نبيذ ، فتناول النبي صلى الله عليه وسلم عساً فيها ، فشرب ثم قال : « أحسنتم هكذا اصنعوا » قال ابن عباس : فما يسرني أن سقايتها جرت علي لبنا وعسلاً مكان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « احسنتم هكذا افعلوا (١) » .

وأخرج الحاكم عن المسيب بن رافع قال : لما كف بصر ابن عباس رضي الله عنهما أتاه رجل فقال له : إنك إن صبرت لي سبعا لم تصل إلا مستلقياً تومئ إيماء داويتك فبرئت إن شاء الله تعالى ، فأرسل الى عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما وغيرهما من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، كلٌ يقول : أرايت إن مت في هذا السبع كيف تصنع بالصلاة ، فترك عينيه ولم يداوهما (٢) .

وعن سعيد بن ابي سعيد قال : كنت عند ابن عباس فجاءه رجل فقال : يا ابن عباس كيف صومك ؟ قال : أصوم الاثنين

(١) حياة الصحابة : ٦٥٣/٢ - ٦٥٤ . النبيذ هنا : هو الماء الذي يطرح فيه شيء من التمر او الزبيب ليكتسب حلاوة إلا انه لا يصل الى درجة الاسكار ، فان وصل الى درجة الاسكار كان شربه حراماً سواء اكان قليلاً أم كثيراً .

العساس : جمع عس وهو القدح الكبير .

(٢) حياة الصحابة : ٥٤١/٣ .

والخميس ، قال : ولم ؟ قال : لان الاعمال ترفع فيهما ، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم (١) .

ولقد كان ابن عباس تأخذه في عبادته خشية من الله ورقة فتندفع عيناه بالبكاء ، ولقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ، وهكذا كان ابن عباس رضي الله عنه .

عن عبد الله بن أبي مليكة قال : صحبت ابن عباس رضي الله عنهما من مكة الى المدينة ، فكان إذا نزل قام شطر الليل . قال : فسأله أيوب : كيف كانت قراءته ؟ قال : قرأ (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) فجعل يرتل ويكثر في ذاكم الشيخ .

وعن أبي رجاء رضي الله عنه قال : كان هذا الموضع من ابن عباس (مجرى الدموع) كأنه الشراك البالي (٢) .

إن العبادة في نظر ابن عباس لم تكن صلاة وصياماً وحجاً وزكاة فحسب ، بل العبادة في نظره هو العمل الذي يكون الانسان فيه اقرب الى خالقه ، فقد تكون عبادة مريض ، أو سعيًا في حاجة مسلم ، أو كلمة طيبة يهديها لمسلم ، ولعل عبادة من هذا النوع قد تفوق في بعض الظروف والملابسات عبادة الصلاة النافلة وما يماثلها من العبادات الأخرى ، فالمسلم اليقظ الواعي يتلمس الطريق التي يكون فيها اقرب ما يكون الى خالقه ، وإن كان فيها مشقة على نفسه أو حرمان من بعض ملذاته ومتعه .

(١) سير اعلام النبلاء : ٣/٣٣٦ .

(٢) الحلية لأبي نعيم : ١/٣٢٧-٣٢٩ . والشراك : سير النعل .

أخرج الطبراني والبيهقي (واللفظ له) والحاكم مختصراً وقال:
 صحيح الإسناد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان معتكفاً في
 مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاتاه رجل فسلم عليه
 ثم جلس ، فقال له ابن عباس : يا فلان أراك مكتئباً حزيناً ، قال :
 نعم يا ابن عم رسول الله ، لفلان عليّ حق ولاء . وحرمة صاحب
 هذا القبر ما أقدر عليه . قال ابن عباس : أفلا اكلمه فيك ؟ فقال :
 إن أحببت ، قال : فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد ، فقال
 له الرجل : أنسيت ما كنت فيه ؟ قال : لا ، ولكنني سمعت صاحب
 هذا القبر صلى الله عليه وسلم ، والعهد به قريب (فدمعت عيناه)
 وهو يقول : من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيراً له من
 اعتكاف عشر سنين ، ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله تعالى جعل
 الله بينه وبين النار ثلاث خنادق أبعد مما بين الخافقين (١) .

جهاده :

إن شخصية المسلم شخصية متكاملة ، لا يشغلها شأن عن
 شأن ، ولا يقعد لها أمر عن أمر ، فهي عالمة في حقل العلم ، ومجاهدة
 في ميدان الجهاد ، وعاملة في ساحة العمل ، فهي ايجابية في مختلف
 الميادين والصُّعَد ، حتى إن الصغار من المسلمين كانت تتفتح فيهم
 منذ نعومة أظفارهم الرغبة في الجهاد والتضحية في سبيل الله ،
 حتى إن بعضهم ليتألم عندما يحول الرسول بينه وبين الجهاد نظراً

(١) حياة الصحابة : ٧٥٣/٢ والترغيب والترهيب : ٢٧٢/٢ .

بلغ فيها : قضاها . الخافقين : هما طرفا السماء والارض وقيل :
 المغرب والمشرق .

لحدائث سنه ، و يأخذ بالبكاء حتى يرق له قلب النبي صلى الله عليه وسلم ، هكذا كانت التربية في المدرسة الإسلامية المحمدية ، وابن عباس الذي نشأ في هذه المدرسة وترعرع فيها لم يكن يقعد عن الجهاد والقتال في سبيل الله مع كثرة اشتغاله في حقل العلم والتعليم ، فلقد حضر رضي الله عنه مشاهد قتالية كثيرة ، وناله بذلك الخير والأجر العظيم . فبالإضافة الى المشاهد التي شهدناها مع الرسول عليه الصلاة والسلام بدءاً من فتح مكة قد شارك في غزو افريقية والقسطنطينية :

عن أبي سعيد بن يونس قال : غزا ابن عباس افريقية مع ابن أبي سرح ، وروى عنه من أهل مصر خمسة عشر نفساً . وكانت هذه الغزوة سنة سبع وعشرين (١) .

وفي عهد معاوية غزا يزيد ابنه القسطنطينية ، وكان في جيشه جماعات من سادات الصحابة منهم : ابن عمر ، وابن عباس ، وابن الزبير ، وأبو أيوب الأنصاري ، وقد ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أول جيش يغزون مدينة قيصر مغفور لهم » فكان هذا الجيش أول من غزاها ، وما وصلوا إليها إلا بعد أن بلغ منهم الجهد (٢) .

كرمه :

عن حبيب بن أبي ثابت أن أبا أيوب أتى معاوية رضي الله عنهما ، فشكا إليه أن عليه ديناً ، فلم ير منه ما يحب ورأى ما يكره . فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنكم

(١) سير اعلام النبلاء : ٢٢٦/٣ . والاصابة : ٩٠/٤ .

(٢) البداية والنهاية : ٣٢/٨ .

سترون بعدي اثره » . قال : فاي شيء قال لكم ؟ قال : اصبروا .
 قال : فاصبروا ، فقال : والله لا أسألك شيئاً ابداً . فقدم البصرة
 فنزل على ابن عباس رضي الله عنهما ، ففرغ له بيته وقال :
 لأصنعن بك كما صنعت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر
 أهله فخرجوا وقال : لك ما في البيت كله ، وأعطاه أربعين ألفاً
 وعشرين مملوكاً .

وفي الطبراني : فأتى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
 بالبصرة ، وقد أمره عليها علي رضي الله عنه . فقال : يا أبا أيوب ،
 إني أريد أن أخرج لك عن مسكني كما خرجت لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، فأمر أهله فخرجوا ، وأعطاه كل شيء أغلق عليه الدار ،
 فلما كان انطلاقه قال : حاجتك قال : حاجتي عطائي وثمانية أعبد
 يعملون في أرضي ، وكان عطاؤه أربعة آلاف ، فأضعفها له خمس
 مرات فأعطاه عشرين ألفاً وأربعين عبداً (١) .

وأخرج الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما : جاءه سائل
 فقال له ابن عباس : اتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟
 قال : نعم ، قال : وتصوم رمضان ؟ قال : نعم ، قال : سألت
 وللسائل حق ، إنه لحق علينا أن نصلك ، فأعطاه ثوباً ثم قال :
 سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من مسلم
 كسا مسلماً ثوباً إلا كان في حفظ الله مادام عليه منه خرقة (٢) » .

(١) حياة الصحابة : ٦٠١/١ - ٦٠٢ وانظر سير النبلاء :

٢٣٦/٣ والبداية والنهاية : ٨/٨ .

(٢) حياة الصحابة : ٤٠٢/٢ - ٤٠٣ .

صبره :

لقد فقد ابن عباس رضي الله عنه في أخريات عمره بصره ،
وأصبح لا يبصر ما لديه ، ولقد يكون وقع فقد البصر أمراً عظيماً
لا يطيقه الإنسان ، إلا أن ابن عباس بما أفاض الله من نعمة
الايمن والصبر استطاع أن يحوّل ما هو مصيبة الى ما هو نعمة ،
فما نزل به من فقدان عينيه إن هو إلا نعمة أنعم الله بها عليه ، إذ إنه قد
عوّض عليه بما هو أسمى من نور البصر ، ولنستمع اليه وهو
يتحدث عن ذلك :

إن يأخذ الله من عينيّ نورهما
ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دَخَل
وفي فمي صارم كالسيف مأثور (١)

وأنشد الجاحظ البيت الأول على النحو التالي :

إن يأخذ الله من عينيّ نورهما
ففي لساني وسمعي منهما نور (٢)

(١) سير النبلاء : ٢٤٠/٣ .

(٢) انظر نكت الهميان : ٧١ .

في صحبة النبي عليه الصلاة والسلام

لم تطل صحبة ابن عباس للرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن هاجر إذ لم يصحبه إلا نحواً من ثلاثين شهراً (١) ، ولكنه طيلة هذه المدة كان ملازماً للرسول عليه الصلاة والسلام أشد الملازمة ، يأخذ عنه ويضبط أقواله وأفعاله وأحواله ، حتى استطاع أن يروي لنا الكثير الكثير عن حياة الرسول عليه الصلاة والسلام (٢) ، ولم ينقطع عن ملازمة الرسول والحضور في مجالسه والاستماع الى هديه حتى سعدت روح الرسول عليه الصلاة والسلام الى الرفيق الأعلى . وإليك نماذج تصور لنا مقدار صلة ابن عباس بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وتكريم الرسول له ، وعنايته به ، ورعايته له ، حتى أصبح بحق ترجمان القرآن وحبر هذه الأمة .

في بيت الرسول :

كان ابن عباس يبيت عند خالته ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ويصادف أن يكون الرسول عندها في ليلتها ، فينام هو ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت واحد ، بل ينامان على وسادة واحدة ، فلا غرابة في أن ينقل لنا شيئاً من حياة رسول الله

(١) انظر سير النبلاء للذهبي : ٢٢٤/٣ .

(٢) انظر البداية والنهاية : ٢٩٦/٨ .

الداخلية مما كان لا يطلع عليه غيره من الرجال ، ولا غرابة أن يجعل من رسول الله المثل الأعلى في حياته ، وينطبع بأخلاقه وصفاته عليه الصلاة والسلام، لما يراه عن كثب من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فعن ابن عباس قال : بت في بيت خالتي ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم عندها في ليلتها ، فصلى العشاء ثم جاء الى منزله فصلى أربع ركعات ، ثم نام ثم قام ثم قال : نام الفلّيم أو كلمة تشبهها ، ثم قام فقامت عن يساره ، فجعلني عن يمينه فصلى خمس ركعات ، ثم صلى ركعتين ، ثم نام حتى سمعت غطيطة أو خطيطة ، ثم خرج إلى الصلاة (١) .

وعن كريب مولى ابن عباس أن عبد الله بن عباس أخبره أنه بات ليلة عند ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهي خالته، فاضطجعت في عرض الوسادة ، واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله في طولها ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس يمسح النوم عن وجهه بيده ، ثم قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران، ثم قام الى شئ معلقة فتوضأ منها فأحسن الوضوء، ثم قام يصلي، قال ابن عباس: فقامت فصنعت مثل ما صنع، ثم ذهبت فقامت الى جنبه، فوضع يده اليمنى على راسي وأخذ بأذني يفتلها ، فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم أوتر ، ثم اضطجع حتى أتاه المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم خرج فصلى الصبح (٢) .

(١) البخاري : ٣٧/١ .

(٢) البخاري : ٥٣/١ - ٥٤ والشئ : القربة .

هذا والذي يظهر من هذا الحديث والذي قبله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج إلى الصلاة بعد هذا النوم ولم يتوضأ ، وهذا الظاهر قد جاء مصرحاً به في رواية أخرى ، فقد جاء فيها : ثم اضطجع فنام حتى نفخ ثم أتاه المنادي فأذنه بالصلاة ، فقام معه إلى الصلاة فصلى ولم يتوضأ (١) . والسبب في ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه ، فلو كان أحدث في نومه لتوضأ . قال في الفتح عند شرح هذا الحديث : فيه دليل على أن النوم ليس حدثاً بل مظنة الحدث ، لأنه صلى الله عليه وسلم كان تنام عينه ولا ينام قلبه ، فلو أحدث لعلم بذلك ، ولهذا كان ربما توضأ إذا قام من النوم وربما لم يتوضأ (٢) .

وروى أبو المتوكل أن ابن عباس حدثه : أنه بات عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم من آخر الليل ، فخرج فنظر في السماء ثم تلا هذه الآية في آل عمران : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار . . » حتى بلغ : (فقنا عذاب النار) ثم رجع إلى البيت فتسوك وتوضأ ثم قام فصلى ، ثم اضطجع ثم قام فخرج إلى السماء فتلا هذه الآية ثم رجع فتسوك فتوضأ ثم قام فصلى (٣) .

(١) البخاري : ٤٤/١ .

(٢) انظر فتح الباري : ١٦٩/١ .

(٣) رواه مسلم : ١٥٢/١ .

وعن أبي الشعثاء أن ابن عباس أخبره : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفتسل بفضل ميمونة (١) .

ولشدة صلته بحياة الرسول الداخلية كما مرّ استطاع ابن عباس أن يصف لنا أموراً ما كان غيره ليستطيع الاطلاع عليها .

فمن ذلك وصفه لمزاح الرسول عليه الصلاة والسلام مع نسائه ، فقد أخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً سأله فقال : أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ؟ قال : نعم ، فقال الرجل : ما كان مزاحه ؟ فقال ابن عباس : كَسَا النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه ثوباً واسعاً ، قال : البسيه واحمدي الله وجرتي من ذيلك هذا كذيل العروس (٢) .

ومن ذلك وصفه لكيفية عيش الرسول في بيته . أخرج الترمذي - وصححه - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة وأهله طاوين لا يجدون عشاء ، وإنما أكثر خبزهم الشعير (٣) .

أدبه مع الرسول ودعاء الرسول له :

لقد كان ابن عباس رضي الله عنه مثال الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شأنه في ذلك شأن الصحابة عامة ، ولقد

(١) رواه مسلم : ١٧٧/١ وفضل ميمونة هو الماء الذي بقي في الوعاء بعد اغتسالها .

(٢) حياة الصحابة : ١٧٨/٣ .

(٣) انظر حياة الصحابة : ١/٥٤٤ . والطوى : الجوع .

جاء في وصفهم : « إن الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم (١) » .

فعن كريب أن ابن عباس أخبره فقال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر الليل فصليت خلفه ، فأخذ بيدي فجرني حتى جعلني حذاءه ، فلما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على صلاته خنست ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما انصرف من صلاته قال : ما شأني أجعلك في حذائي فتخس ؟ فقلت : يا رسول الله ، أوينبغي لأحد أن يصلي في حذائك وأنت رسول الله الذي أعطاك الله عز وجل ؟ قال : فأعجبته فدعا الله لي أن يزيدني علماً وفهماً (٢) .

وعن عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل الخلاء ، فوضعت له وضوءاً ، فقال : من وضع هذا ؟ فأخبر فقال : اللهم فقهه في الدين (٣) ، وفي البداية والنهاية زيادة « وعلمه التأويل » .

وعن عكرمة عن ابن عباس قال : ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : اللهم علمه الكتاب (٤) » .

(١) الحجرات : ٣ .

(٢) رواه الإمام أحمد ، انظر البداية والنهاية : ٢٩٦/٨ ومعنى خنس : انقبض وتأخر .

(٣) البخاري : ٤٥/١ ورواه الإمام أحمد ، انظر البداية والنهاية : ٢٩٧/٨ وسير النبلاء : ٢٢٥/٣ .

(٤) البخاري : ٢٧/١ و ١٣٨/٨ وانظر فتح الباري عند شرحه هذا الحديث .

وعن ابن عمر : كان عمر يدعو ابن عباس ويقربه ويقول : إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاك يوماً فمسح رأسك ، وقال : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل (١) ، وفي البداية زيادة : وتفل في فيك .

وعن طاووس عن ابن عباس قال : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح على ناصيتي ، وقال اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب (٢) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس فقال : « اللهم بارك فيه وانشر منه (٣) » .

ولا شك أن الله استجاب لرسوله دعواته هذه ، فكان ابن عباس فقيهاً في الدين ، عالماً بمعاني كتاب الله ، راوية لأحاديث رسول الله ، كما سترى ذلك عند الكلام على علمه وفقهه إن شاء الله تعالى .

إرداف الرسول له ومداعبته له :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواضعاً شديداً للتواضع ، ومن تواضعه عليه الصلاة والسلام أنه كان لا يأنف إذا ركب أن يردف خلفه ، وكان ممن أردفه خلفه ابن عباس .

فقد أخرج أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أردفه على دابته ، فلما استوى عليها

(١) فتح الباري : ١/ ١٣٥ .

(٢) فتح الباري : ١/ ١٣٥ .

(٣) صفوة الصفوة : ١/ ٧٤٧ .

كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وسبح الله ثلاثاً وهلل الله واحدة ، ثم استلقى عليه فضحك ، ثم أقبل عليه فقال : ما من امرئ يركب دابته فيصنع كما صنعت إلا أقبل الله عز وجل فضحك إليه كما ضحكت إليك (١) » .

استقباله الرسول مقدمه من الفزو :

عن ابن أبي مليكة ، قال ابن الزبير لابن جعفر رضي الله عنهم : أتذكر إذ تلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأنت وابن عباس ؟ قال : نعم ، فحملنا وتركك (٢) .

سماع رسول الله له بحضور صلاة العيد مع صفر سنه :

العيد مشهد من مشاهد الإسلام العظيمة، ولقد كان رسول الله يرغب أن يكثر سواد المسلمين في هذا اليوم ، وأن يحتشد له من الناس من استطاع إلى ذلك سبيلاً ، ولهذا كان يرغب أن تكون صلاة العيد في الصحراء خارج البلد كي يستوعب هذا الحشد العظيم ، وقد كان يأمر العواتق وذوات الخدور (٣) أن يشهدن مشهد العيد ، حتى إن المرأة التي لم يكن لها جلباب أمرت أن تستعير جلباب اختها ، وكذلك أمر الحيض من النساء أن يشهدن العيد يكبرن مع من يكبر ، ولكن يعتزلن الصلاة فلا يصلين ، ولكن كان يجذب خروج الصبيان إلى المصلى أيضاً تشجيعاً لهم وتدريباً على حضور مشاهد الإسلام .

(١) حياة الصحابة : ٦٠/٤ .

(٢) البخاري : ٣٩/٤ .

(٣) انظر البخاري في صلاة العيد . والعواتق جمع عاتق وهي المرأة الشابة . أول ما تدرك وذوات الخدور : البنات الإبرار المسترات في البيوت .

ولقد أذن رسول الله لابن عباس بحضور هذا المشهد الرائع
وها هو ذا يصف لنا شيئاً مما رآه .

فعن عبد الله بن عباس قال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما
سأله رجل : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العيد
أضحى أو فطراً ؟ قال : نعم ولولا مكاني منه ما شهادته - يعني
من صغره - قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصلى ثم خطب ، ولم يذكر أذاناً ولا إقامة ، ثم أتى النساء
فوعظهن وذكرهن وأمرهن بالصدقة ، فرأيتهن يهوين إلى آذانهن
وحلوقهن يدفعن إلى بلال ، ثم ارتفع هو وبلال إلى بيته (١) .

رؤيته جبريل في مجلس الرسول :

عن ابن عباس قال : كنت مع أبي عند النبي صلى الله عليه
وسلم وعنده رجل يناجيه ، قال عفان : - راوي الحديث - وهو
كالمعرض عن العباس ، فخرجنا من عنده ، فقال العباس : ألم
ترَ ابن عمك كالمعرض عني ؟ فقلت : إنه كان عنده رجل يناجيه ،
قال عفان : قال عباس : أو كان عنده أحد ؟ قلت : نعم ،
فرجع إليه ، فقال : يا رسول الله هل كان عندك أحد آنفاً ؟ فإن
عبد الله أخبرني أنه كان عندك رجل يناجيك ، قال : هل رأيته
يا عبد الله ؟ قال قلت : نعم ، قال : ذاك جبريل عليه السلام (٢) .

وروى الدارقطني عن ابن عباس أنه قال : رأيت جبريل
مرتين ، ودعا لي رسول الله بالحكمة مرتين .

(١) البخاري : ١٦٢/٦ وانظر البخاري أيضاً : ٥٤/٧ .

(٢) رواه الإمام أحمد ، انظر البداية والنهاية : ٢٩٧/٨ .

مبايعة الرسول له :

عن جعفر بن محمد عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر وهم صفار لم يبلغوا ، ولم يبايع صغيراً إلا منا (١) .

في مرض الرسول ووفاته :

منذ أسلم ابن عباس ظلّ ملازماً للنبي صلى الله عليه وسلم في مختلف جوانب حياته ، ولم يفارقه حتى التحق بالرفيق الأعلى ، وها هو رضي الله عنه يروي لنا بعضاً مما شاهده من حياة الرسول في مراحلها الأخيرة حتى أودع عليه الصلاة والسلام قبره المطهر .

وصفه حال الرسول عند النزاع :

قال ابن عباس : لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك : لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . يحذر ما صنعوا (٢) . « . وكأنه عليه الصلاة والسلام في هذا الموقف قد علم أنه مرتحل من ذلك المرض ، فخاف أن يعظم قبره كما فعل من مضى ، فلعن اليهود والنصارى إشارة إلى ذم من يفعل فعلهم ، ويحذو حذوهم في ذلك (٣) ، « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم (٤) » .

(١) البداية والنهاية : ٢٠٧/٨

(٢) البخاري : ١١٢/١

(٣) انظر فتح الباري : ٣٥٨/١

(٤) سورة النور : ٦٣

خروج الرسول في مرضه إلى الصلاة وخطبته :

عن ابن عباس قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه بخرقه ، فقعده على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنه ليس من الناس أحد أمنّ عليّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة ، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لا اتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن خلة الإسلام أفضل ، سدّوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر (١) « وقد استثنى الرسول خوخة أبي بكر لما أنه قد أمره أن يصلي بالناس حال مرضه عليه الصلاة والسلام . وفهم بعض العلماء من هذا الحديث أن فيه إشارة إلى استخلاف أبي بكر وتوليته على المسلمين (٢) .

وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه بملحفة قد عصب بعصابة دسماء حتى جلس على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن الناس يكثرون ويقلّ الأنصار حتى يكونوا في الناس بمنزلة الملح في الطعام ، فمن ولي منكم شيئاً يضرّ به قوماً وينفع فيه آخرين ، فليقبل من محسنهم ، ويتجاوز عن مسيئهم ، فكان آخر مجلس جلس به النبي صلى الله عليه وسلم (٢) »

(١) البخاري : ١/١٢٠ والخوخة باب صغير كالنافذة الكبيرة وتكون بين بيتين ينصب عليها باب . انظر النهاية لابن الأثير مادة خوخ .

(٢) انظر فتح الباري ١/٣٧٥ .

(٣) البخاري ٤/١٨٤ .

ولقد كان أحد الجماعة الذين حضروا عندما طلب الرسول عند وفاته أن يكتب كتاباً لأمته يرجعون إليه بعده فلم يرد ذلك عمر .

روى ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعه قال : ائتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ، قال عمر : إن النبي صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع ، وعندنا كتاب الله حسبنأ ، فاختلفوا وكثر اللفظ ، قال : قوموا عني ، ولا ينبغي عندي التنازع ، فخرج ابن عباس يقول : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كتابه (١) .

ولقد عيّن ابن عباس في رواية أخرى اليوم الذي طلب فيه الرسول أن يكتب كتاباً .

وعن سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس : يوم الخميس وما يوم الخميس ؟ اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فقال : ائتوني اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا : ما شأنه ؟ اهجر ؟ استفهموه ، فذهبوا يرددون عليه ، فقال : دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه ، وأوصاهم بثلاث قال : اخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم ، وسكت عن الثالثة أو قال فنسيها (٢) .

(١) البخاري : ٣٧/١ وانظر البخاري ١٣٧/٥ وانظر مسلم : ٧٦/٥ .

(٢) البخاري : ١٣٧/٥ .

وصفه وفاة الرسول وكيفية غسله والصلاة عليه :

لقد وصف ابن عباس آخر مرحلة من مراحل حياة الرسول عليه الصلاة والسلام على ظهر الأرض ، والتحاقه بالرفيق الأعلى .
ووصف لنا أيضاً كيف صلى عليه المسلمون :

أخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثقل وعنده عائشة وحفصة إذ دخل علي رضي الله عنهم فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم رفع رأسه ثم قال : ادنُ مني ، ادنُ مني . فأسنده إليه فلم يزل عنده حتى توفي ، فلما قضى قام عليّ وأغلق الباب ، وجاء العباس رضي الله عنه ومعه بنو عبد المطلب ، فقاموا على الباب ، فجعل علي يقول : بأبي أنت طبت حياً وطبت ميتاً ، وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلاً ، قال : (أي العباس) إيهما دع خنياً كخنين المرأة ، وأقبلوا على صاحبكم ، قال علي : أدخلوا عليّ الفضل بن العباس . فقالت الأنصار : نشدناكم بالله ونصيبتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدخلوا رجلاً يقال له أوس بن خَوْلٍ يحمل جرة بإحدى يديه ، فسمعوا صوتاً في البيت : لا تجردوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واغسلوه كما هو في قميصه ، ففسله علي يدخل يده من تحت القميص ، والفضل يمسك الثوب عنه ، والأنصاري ينقل الماء ، وعلى يد علي خرقة يدخل يده تحت القميص (١) » .

وأخرج ابن اسحق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخل الرجال فصلوا عليه

(١) حياة الصحابة : ٦٠٣/٢ وإيهما : أمر بالسكوت ،
والخنين : نوع من البكاء دون الانتحاب .

بغير إمام أرسالا" حتى فرغوا ، ثم أدخل النساء فصلين عليه ،
ثم أدخل الصبيان فصلوا عليه ، ثم أدخل العبيد فصلوا عليه
أرسالا" لم يؤمهم على رسول الله أحد (١) .

وصفه لوقع نبأ وفاة الرسول عند الصحابة :

أخرج عبد الرزاق وابن سعد وابن أبي شيبه والبخاري وابن
حبان وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبا بكر الصديق
رضي الله عنه خرج حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر
رضي الله عنه يكلم الناس ، فقال : اجلس يا عمر ، فتشهد ثم
قال : أما بعد فمن كان منكم يعبد محمداً صلى الله عليه وسلم فإن
محمداً قد مات ، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله تعالى حي
لا يموت ، فإن الله تعالى قال : « وما محمد إلا رسول قد خلت من
قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم . . » الآية .
قال : والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها
أبو بكر ، فتلقاها منه الناس كلهم ، فما تسمع بشراً من الناس
إلا يتلوها ، وقال عمر بن الخطاب : والله ما هو إلا أن سمعت
أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي ، وحتى أهويت إلى
الأرض ، وعرفت حين سمعته تلاها أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد مات (٢) .

(١) حياة الصحابة : ٦٠٤/٢ والارسال جمع رسل بفتح
الراء والسين ، أي افواجا و فرقا متقطعة .

(٢) المصدر السابق : ٦٠٧/٢ والعقر : أن تسلم الرجل
قوائمه من الخوف .

في صحبة عمر رضي الله عنه

إن شخصية ابن عباس لم يكتب لها الظهور زمن خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لعوامل كثيرة أهمها : صغر سن ابن عباس آنذاك ، وانشغال أبي بكر بقتال أهل الردّة ، وقصر مدة خلافته ، فلم تزد خلافته على سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام .

ولكن ما إن توفي الصديق وآلت الخلافة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى بدأت شخصية ابن عباس تتفتح كما تتفتح الأزهار ، لتؤتي في المستقبل أكلها بإذن ربها .

ولقد عرف ابن الخطاب مكانة هذه الشخصية الفذة ، وقدّر مواهبها ، وأعجب بكفاءاتها وجدارتها ، فأخذ يدنيه منه ويقربه ، ويستشيريه فيما يطرأ عليه من المشكلات ، فإذا به يجده أهلاً لكل ذلك ، وها نحن نسوق إليك صوراً من هذا التكريم وهذه الثقة :

تكريم عمر له ورفعته من مكانته :

كان عمر يقربه منه ويدنيه ، ويأذن له بالدخول عليه مع أشياخ بدر تقديراً له ، حتى إن بعضهم أخذ يجد في نفسه شيئاً من صنيع عمر .

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكان بعضهم وجد في نفسه فقال : لم تدخل

هذا معنا ، ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه من حيث علمتم ، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم ، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم ، قال : ما تقولون في قول الله تعالى : « إذا جاء نصر الله والفتح » ؟ فقال بعضهم : أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً ، فقال لي : اكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا ، قال : فما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له قال : إذا جاء نصر الله والفتح ، وذلك علامة أجلك ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ، فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول (١) .

وجاء في بعض الروايات تصريح باسم القائل ، وهو الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه (٢) .

استشارته له وثناؤه عليه وسؤاله عما أشكل عليه :

وكان إلى جانب تكريمه يستشيريه في الأمور ، وخاصة إذا كان الأمر يتعلق بحكم شرعي ، وقد كان عمر كثير المشورة حتى إنه ليستشير الفتيان والنساء ، فلعله يجد عندهما ما يستحسنه من الرأي (٣) .

فعن عطاء بن يسار رضي الله عنه : أن عمر وعثمان رضي الله عنهما كانا يدعوان ابن عباس رضي الله عنهما ، فيشير مع أهل بدر ، ويفتي في عهد عمر وعثمان إلى يوم مات .

(١) البخاري : ٩٤/٦ و ٩٤/٥ .

(٢) انظر البخاري : ١٨٣/٤ .

(٣) انظر حياة الصحابة : ١٦٠/٢ .

وعن يعقوب بن يزيد قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستشير عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في الأمر إذا أهماه ويقول : غص غواص (١) .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : ما رأيت أحداً احضر فهماً ، ولا البّ لباً ، ولا أكثر علماً ، ولا أوسع حلماً من ابن عباس ، ولقد رأيت عمر بن الخطاب يدعو للمعضلات (المشكلات) ثم يقول : قد جاءتك معضلة ، ثم لا يجاوز قوله ، وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والانصار (٢) .

وكان عمر إذا رأى ابن عباس مقبلاً قال : جاء فتى الكهول ، وذو اللسان السؤول ، والقلب العقول .

وكان يقول : نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس . وكان يقول له : لقد علمت علماً ما علمناه (٣) .

وروى عاصم بن كليب عن أبيه عن ابن عباس قال : دعاني عمر مع الأكابر ويقول لي : لا تتكلم حتى يتكلموا ثم يسألني ، ثم يقبل عليهم فيقول : ما منعكم أن تأتونني بمثل ما يأتيني به هذا الفلام

(١) حياة الصحابة : ١٥٩/٢ ومعنى غص غواص : أي انزل في هذه المعضلة ياغواص . والفواص هو الذي يغوص في البحر على اللؤلؤ ونحوه ، وانظر حياة الصحابة أيضاً : ٧٨٧/٣ ، وسير النبلاء : ٢٣٢/١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) انظر البداية والنهاية : ٢٩٩/٨ . وسير النبلاء : ٢٣١/٣ .

الذي لم تستو شؤون رأسه (١) وعن معمر عن الزهري قال : قال المهاجرون لعمر : الا تدعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس ؟ قال : ذاكم فتى الكهول ، إن له لساناً سؤولا وقلباً عقولاً (٢) .

روى ابراهيم التيمي فقال : خلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم ، فجعل يحدث نفسه ، فأرسل الى ابن عباس رضي الله عنهما فقال : كيف تختلف هذه الأمة وكتابها واحد ونبيها واحد وقبلتها واحدة ؟ قال ابن عباس : يا أمير المؤمنين إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمنا فيما نزل ، وإنه يكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن لا يعرفون فيما نزلت ، فيكون لكل قوم فيه رأي ، فاذا كان لكل قوم فيه رأي اختلفوا ، فاذا اختلفوا اقتتلوا ، فزبره عمر وانتهره ، وانصرف ابن عباس ، ثم دعاه فعرف الذي قال ، ثم قال إيهأ أعد (٣) .

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن ابن عباس قال : قال عمر بن الخطاب : قرأت الليلة آية أسهرتني « أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب . . » ما عنى ؟ فقال بعض القوم : الله أعلم ، فقال : إني أعلم أن الله أعلم ، ولكن إنما سألت إن كان عند أحد منكم علم وسمع فيها بشيء أن يخبر بما سمع ، فسكتوا

(١) سير النبلاء: ٣/٢٣٢ . والشؤون قال احمد بن يحيى: عروق فوق القبائل فكلما أسن الرجل قويت واشتدت اه لسان العرب والقبائل في الرأس القطع المشعوب بعضها الى بعض اه قاموس .

(٢) سير النبلاء : ١/٢٣٢ .

(٣) حياة الصحابة : ٣/٧٣٠ . زبره : زجره واغلظ له في

القول .

فرآني أهمس، قال: قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك، قلت: عنى بها العمل، قال: وما عنى بها العمل؟ قلت: شيء القى في روعي فقلته، فتركني وأقبل وهو يفسرها، صدقت يا ابن أخي عنى بها العمل، ابن آدم أفقر ما يكون الى جنة إذا كبر سنه وكثرت عياله، وابن آدم أفقر ما يكون الى عمله يوم القيامة، صدقت يا ابن أخي (١).

وعن محمد بن كعب القرظي عن ابن عباس رضي الله عنه: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جلس في رهط من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين، فذكروا ليلة القدر، فتكلم منهم من سمع فيها بشيء مما سمع، فراجع القوم فيها الكلام، فقال عمر: مالك يا ابن عباس صامت لا تتكلم؟! لا تمنعك الحداثة، قال ابن عباس: فقلت يا أمير المؤمنين إن الله تعالى وتر يحب الوتر، فجعل أيام الدنيا تدور على سبع، وخلق الإنسان من سبع، وخلق أرزاقنا من سبع، وخلق فوقنا سموات سبعاً، وخلق تحتنا أرضين سبعاً، وأعطى من المثاني سبعاً، ونهى في كتابه عن نكاح الأقربين عن سبع، وقسم الميراث في كتابه على سبع، ونقع في السجود من أجسادنا على سبع، وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكعبة سبعاً وبين الصفا والمروة سبعاً، ورمى الجمار بسبع لإقامة ذكر الله بما ذكر في كتابه، فأراها في السبع الاواخر من شهر رمضان، والله أعلم. فتعجب عمر وقال: ما وافقني فيها أحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا هذا الغلام الذي لم تستو شؤون رأسه، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(١) حياة الصحابة: ٣/٧٣١. والهمس الكلام الخفي.

روعي: قلبي.

التمسوها في العشر الأواخر . ثم قال : يا هؤلاء ، من يؤديني في هذا كأداء ابن عباس (١) ؟ .

جراته في قول الحق امام عمر :

كان الناس يهابون عمر رضي الله عنه ، وقلما ترى واحداً يجرؤ على التحدث أمامه مهابة له ، حتى إن ابن عباس نفسه رضي الله عنه قال : مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب رضوان الله عليه عن آية فلا أستطيع أن أسأله هيبة له (٢) .

لكن ابن عباس لم تمنعه هيبة عمر أن يقول عنده ما يعتقد حقا ، فالحق أحق أن يقال ويتبع ، ولا يبالي بعد ذلك أقبله عمر بشيء من الزجر أو الإعراض أم لم يقبله .

روى البيهقي وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا صلى صلاة جلس للناس ، فمن كان له حاجة كلمه ، وإن لم يكن لأحد حاجة قام ، فصلى ذات يوم فلم يجلس ، فقلت يا أبا عمر المؤمنين شكاة ؟ فقال : ما بأمر المؤمنين شكوا ، فجلست فجاء عثمان بن عفان رضي الله عنه فجلس ، فخرج يرفأ فقال : قم يا ابن عفان ، قم يا ابن عباس ، فدخلنا على عمر فإذا بين يديه صُبر من مال على كل صُبرة منها كتف ، فقال : إني نظرت إلى أهل المدينة فوجدتكم من أكثر أهلها عشيرة ، فخذوا هذا المال فاقسموه ، فما كان من فضل فرداً ، فأما عثمان فجثا ، وأما أنا فجثوت لركبتي وقلت : وإن كان نقصاناً رددت

(١) الحلية لأبي نعيم : ٣١٧/١ - ٣١٨ .

(٢) انظر سيرة عمر للطنطاوي : ٦٢ فما بعدها .

علينا ؟ فقال عمر : شنشنة من أخشن ، أما كان هذا عند الله إذ محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكلون القد ؟ فقلت : بلى والله ، لقد كان هذا عند الله ومحمد حي ، ولو عليه فتح لصنع فيه غير الذي تصنع ، فغضب عمر وقال : إذن صنع ماذا ؟ قلت : إذا لأكل وأطعمنا ، فنشج عمر حتى اختلفت أضلاعه ثم قال : وددت أني خرجت منها كفافاً لا لي ولا علي (١) .

وعن يزيد بن الأعصم عن ابن عباس قال : قدم على عمر رجل ، فجعل عمر يسأله عن الناس فقال : يا أمير المؤمنين ، قد قرا القرآن منهم كذا وكذا ، فقلت والله ما أحب أن يسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة ، قال فزبرني عمر ثم قال : مه ، فانطلقت الى منزلي مكتئباً حزينا ، فقلت : قد نزلت من هذا بمنزلة ولا أراني إلا سقطت من نفسه ، فاضطجعت على فراشي حتى عادني نسوة اهلي ومابي وجع ، فبينما أنا على ذلك قيل لي : أجب أمير المؤمنين ، فخرجت فاذا هو قائم على الباب ينتظرني ، فأخذ بيدي ثم خلا بي فقال : ما الذي كرهت مما قال الرجل آنفاً ؟ قلت : يا أمير المؤمنين إن كنت أسأت فإنني استغفر الله وأتوب إليه ، وأنزل حيث أحببت ، قال : لتخبرني ، قلت : متى ما يسارعوا هذه

(١) حياة الصحابة : ٢/٨٥ ، فما بعدها . يرفأ : حاجب عمر . شكاة : مرض . شنشنة من أخشن : أي حجر من جبل ، وأصل الشنشنة السجية والطبيعة . وقصد عمر تشبيهه بأبيه العباس في شهامته ورأيه وجراته على القول . القد : السير يقد ويقطع من جلد ، يريد أنهم كانوا يأكلون جلد السخلة في الجذب . نشج : النشيج : صوت معه بكاء وتوجع .

المسارعة يحتقوا ، ومتى ما يحتقوا يختصموا ، ومتى ما اختصموا ،
يختلفوا ، ومتى ما يختلفوا يقتتلوا ، قال : الله أبوك لقد كنت اكرمها
الناس حتى جئت بها (١) .

وأخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت
قاعداً عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ جاءه كتاب أن أهل
الكوفة قد قرأ منهم القرآن كذا وكذا ، فكبر رحمه الله ، فقلت :
اختلفوا ، فقال : أف ! وما يدريك ؟ قال : ففضب فأتيت منزلي ،
قال : فأرسل إليَّ بعد ذلك فاعتللت له فقال : عزمت عليك إلا
جئت ، فأتيته فقال : كنت قلت شيئاً ، قلت : استغفر الله ، لا
أعود لشيء بعدها ، فقال : عزمت عليك إلا أعدت علي الذي قلت ،
قلت : قلت كتب إليَّ أنه قد قرأ القرآن كذا وكذا ، فقلت اختلفوا ، قال :
ومن أي شيء عرفت ؟ قلت : قرأت « ومن الناس من يعجبك قوله
في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه » حتى انتهيت الى
« والله لا يحب الفساد » فإذا فعلوا ذلك لم يصبر صاحب القرآن ،
ثم قرأت « وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم
ولبئس المهادر . ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله
رؤوف بالعباد » قال : صدقت والذي نفسي بيده (٢) .

(١) سير النبلاء : ٢٣٣/٣ . ويحتقوا : يقول كل واحد منهم
الحق بيدي . انظر النهاية لابن الاثير .
(٢) حياة الصحابة : ٧٥٢/٣ - ٧٥٣ . والآيات من سورة
البقرة (٢٠٦ - ٢٠٧) .

وصية ابيه العباس له :

وإذ رأى العباس قرب ابنه من عمر أمير المؤمنين خشي عليه أن
تزل قدمه عنده فيكون ما لا تحمد عقباه ، لذلك أوصى ابنه بوصية
ثمينة .

روى مجاهد عن الشعبي عن ابن عباس قال : قال لي أبي :
إن عمر يدنيك ويجلسك مع اكابر الصحابة فاحفظ عني ثلاثاً :
لا تفشين له سرّاً ، ولا تفتابنّ عنده أحداً ، ولا يجربنّ عليك كذباً .

قال الشعبي : قلت لابن عباس : كل واحدة خير من ألف ، فقال
ابن عباس : بل كل واحدة خير من عشرة آلاف (١) . ولقد نفذ ابن
عباس وصية أبيه فكان يعظم عمر ويهابه ، فكان إذا خطر في نفسه
أمر يريد أن يسأل عمر عنه هابه وتردد في سؤاله .

أخرج ابن عبد البر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :
مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن حديث
ما يمنعني منه إلا هيئته ، حتى تخلف في حج أو عمرة في الأراك الذي
ببطن مر الظهران لحاجته ، فلما جاء وخلوت به قلت : يا أمير
المؤمنين إني أريد أن أسألك عن حديث منذ سنتين ما يمنعني إلا
هيبة لك ، قال فلا تفعل ، إذا أردت أن تسأل فسلني ، فإن كان
منه عندي علم أخبرتك ، وإلاّ قلت لا أعلم ، فسألت من يعلم ،
قلت : من المراتان اللتان ذكرهما أنهما تظاهرتا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم ؟ قال : عائشة وحفصة (٢) .

(١) البداية والنهاية : ٢٩٩/٨ .

(٢) انظر كتاب جامع بيان العلم وفضله : ١١٢/١ لابن عبد

البر وانظر حياة الصحابة : ٧٠/٣ وأصله في البخاري ١٠٣/٣ .

هبة الناس لعمر :

وكما ان ابن عباس كان لعمر هبة في نفسه فقد كانت هذه الهبة تملأ نفوس الناس أيضاً . روى ابن عساکر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما ولي عمر بن الخطاب قال له رجل : لقد كاد بعض الناس ان يحيد هذا الأمر عنك . قال عمر : وما ذاك ؟ قال : يزعمون انك فظ . قال عمر : الحمد لله الذي ملأ قلبي لهم رحماً ، وملأ قلوبهم لي رعباً (١) .

ابن عباس في اواخر حياة عمر :

لم يزل ابن عباس مصاحباً لعمر رضي الله عنه وقريباً منه حتى فارقتة الحياة ، ولقد جلس الى عمر بعدما طعن واخذ يسليه بذكر فضائله وآثاره في الاسلام .

عن المسنور بن مخرمة : قال : لما طعن عمر جعل يألّم ، فقال له ابن عباس - وكأنه يجزعه - : يا أمير المؤمنين ، ولئن كان ذاك ، لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنيت صحبتته ، ثم فارقتة وهو عنك راض ، ثم صحبت أبا بكر فأحسنيت صحبتته ثم فارقتة وهو عنك راض ، ثم صحبت أصحابهم فأحسنيت صحبتهم ، ولئن فارقتهم لتفارقتهم وهم عنك راضون .

قال : أما ما ذكرت من صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه فإنما ذاك من الله تعالى منّ به عليّ ، وأما ما ذكرت من صحبت أبي بكر ورضاه فإنما ذاك منّ من الله جل ذكره ، من به عليّ ، وأما ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك ،

(١) انظر حياة الصحابة : ١٤٥/٢ .

والله لو أن لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله عز وجل
قبل أن أراه (١) .

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :
لما طعن عمر رضي الله عنه دخلت عليه فقلت له : أبشر يا أمير المؤمنين
فإن الله قد مصر بك الأمصار ، ودفع بك النفاق ، وأفشى بك
الرزق . قال : أفي الإمارة تشني عليّ يا ابن عباس ؟ فقلت : وفي
غيرها ؟ قال : والذي نفسي بيده لو ددت أني خرجت منها كما
دخلت فيها لا أجر ولا وزر .

وأخرج ابن سعد عنه (وذكر الحديث) وفيه : فقلت أبشر
بالجنة ، صاحبت رسول الله ، فأطلت صحبتته ، ووليت أمر
المؤمنين فقويت وأديت الأمانة . فقال : أما تبشرك إياي بالجنة
فوالله الذي لا إله إلا هو لو أن لي الدنيا وما فيها لافتديت به من
هول ما أمامي قبل أن أعلم الخبر ، وأما قولك في إمرة المؤمنين
فوالله لو ددت أن ذلك كفاف لا لي ولا علي ، وأما ما ذكرت من صحبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذاك .

وأخرج ابن سعد أيضاً من حديث عبد الله بن عبيد بن عمير
مطولاً وفيه : فقال عمر رضي الله عنه : اجلسوني . فلما جلس
قال لابن عباس رضي الله عنهما : أعد عليّ كلامك ، فلما أعاد عليه
قال : أتشهد بذلك عند الله يوم تلقاه ؟ فقال ابن عباس رضي الله
عنهما : نعم ، قال ففرح عمر رضي الله عنه بذلك وأعجبه (٢) .

-
- (١) البخاري : ٢٠١/٤ . طعن : طعنه أبو لؤلؤة المجوسي .
يجزعه : يزيل جزعه . طلاع الأرض : ملؤها .
(٢) انظر حياة الصحابة : ٢٥٦/٢ - ٢٥٧ .

ولقد ظل ابن عباس مرافقاً لعمر بن الخطاب حتى وضع على سريره بعد الموت ووري بعد ذلك في ترابه ، وها هو يروي لنا موقفاً يحكي لنا فيه ثناء علي رضي الله عنه على عمر .

عن ابن عباس قال : إني لواقف في قوم فدعوا الله لعمر بن الخطاب، وقد وضع على سريره إذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول : رحمك الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبك ، لأنني كثيراً ما كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كنت وأبو بكر وعمر ، وفعلت وأبو بكر وعمر ، وانطلقت وأبو بكر وعمر . فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما . فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب (١) .

(١) البخاري: ١٩٧/٤ .

الفصل الثاني

علمه وفقره

شخصيته العلمية :

لقد كانت شخصية ابن عباس رضي الله عنه شخصية متكاملة متعددة الجوانب ، لا يرغب المرء في خصلة من خصال الخير والفضيلة والشرف والعلاء والسيادة والتفوق إلا ويجد في شخصيته نموذجاً حياً واضحاً عن ذلك ، بل قد يجد أكثر من نموذج واحد .

ولكن الى جانب هذا هناك جانب بارز في حياته هو جانب العلم والفقه ، وما كان هذا التفوق في هذا الجانب الا نتيجة لعاملين أساسيين :

أحدهما : دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم له إذ قال : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) فكان بهذه الدعوة فقيهاً من جلة الفقهاء ، ومفسراً لكتاب الله من المع المفسرين .

ثانيهما : ما أودع الله سبحانه فيه من كفاءة نادرة ، وذكاء حاد ، وصبر في تحصيل العلم ، وقدرة على الاستيعاب والإحاطة بكل ما يلقي اليه ، ولعل هذا العامل أثر من آثار العامل الأول أيضاً . وسيأتي تفصيل لذلك إن شاء الله تعالى .

ولقد برع ابن عباس في ميادين شتى من ميادين العلم والمعرفة، فقد كان بارعاً في الفقه . مجتلياً في التأويل والتفسير . محلّقاً في الأدب والشعر واللغة . حتى كان مرجع الناس في ذلك كله ، وموئل العلماء فيما يحتاجون إليه من هذه العلوم . قال أبو صالح : لقد رأيت من ابن عباس مجلساً لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها الفخر . لقد رأيت الناس اجتمعوا على بابهِ حتى ضاق بهم الطريق ، فما كان أحد يقدر أن يجيء ، ولا أن يذهب . قال : فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابهِ ، فقال لي : ضع لي وضوءاً ، قال : فتوضأ وجلس وقال : اخرج فقل لهم : من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أريد منه فليدخل . قال : فخرجت فأذنّتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة ، فما سألوهُ عن شيء إلا أخبرهم عنه . وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر ، ثم قال : إخوانكم ، فخرجوا ، ثم قال : اخرج فقل : من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل ، قال : فخرجت فأذنّتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة فما سألوا عن شيء إلا أخبرهم وزادهم مثل ما سألوا أو أكثر . ثم قال : اخرج فقل من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل ، قال : فخرجت فأذنّتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله أو أكثر ، ثم قال : إخوانكم ، فخرجوا ، ثم قال : اخرج فقل : من كان يريد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل ، فخرجت فأذنّتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله أو أكثر ، ثم قال : إخوانكم ، فخرجوا ، ثم قال : اخرج فقل : من كان يريد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل ، فخرجت فأذنّتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به

وزادهم مثله ، ثم قال : إخوانكم ، فخرجوا . قال ابو صالح :
فلو ان قريشاً فخرت بذلك لكان فخراً ، فما رأيت هذا لأحد
من الناس (١) .

وقال عمرو بن دينار في ابن عباس : ما رأيت مجلساً أجمع
لخير من مجلسه : الحلال والحرام ، وتفسير القرآن ، والعربية
والشعر والطعام (٢) .

وقال عبد الله بن عتبة : كان ابن عباس قد فاق الناس
بخصال : بعلم ما سبق إليه ، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه .
وحلم ونسب ونائل ، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من
حديث النبي صلى الله عليه وسلم منه ، ولا بقضاء أبي بكر وعمر
وعثمان منه ، ولا أفقه في رأي منه ، ولا أعلم بشعر ولا عربية
ولا تفسير للقرآن ، ولا بحساب ولا بفريضة منه . ولا أعلم فيما
مضى ولا أثقب رأياً فيما احتيج إليه منه ، فلقد كان يجلس
يوماً ما يذكر فيه إلا الفقه ، ويوماً ما يذكر فيه إلا التأويل .
ويوماً ما يذكر فيه إلا المفازي ، ويوماً الشعر ، ويوماً أيام
العرب ، وما رأيت عالماً قط جلس إليه إلا خضع له .
ولا وجدت سائلاً سألته إلا وجد عنده علماً ، قال : وربما حفظت
القصيدة من فيه ينشدها ثلاثين بيتاً (٣) .

(١) البداية والنهاية : ٣٠٢/٨ . حلية الأولياء لأبي نعيم :
٣٢٠/١ . حياة الصحابة : ٧١١/٣ فما بعدها .

(٢) البداية والنهاية : ٣٠٢/٨ .

(٣) المصدر السابق : ٣٠١/٨ وانظر سير النبلاء : ٢٣٥/٣ .

وقال عطاء : ما رايت مجلساً اكرم من مجلس ابن عباس ولا اكثر فقهاً ولا اعظم هيبة ، أصحاب القرآن يسألونه ، وأصحاب العربية يسألونه ، وأصحاب الشعر يسألونه ، فكلهم يصدر عن وادٍ واسع (١) .

ولقد بلغ من مكانته في العلم انه يكون له موكب من طلاب العلم يضارع موكب الخليفة .

قال يزيد بن الأصم : خرج معاوية حاجاً معه ابن عباس ؛ فكان لمعاوية موكب ، ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم (٢) .

نبوغه في الفقه والتفسير والحديث :

ومهما قلنا عن تنوع المعرفة عند ابن عباس فان الشيء الذي هو محل اتفاق عند الناس أجمعين أنه قد برع في جوانب ثلاثة هي : الفقه والتفسير والحديث . فقد كان رضي الله تعالى عنه مجتلياً في ذلك حتى كان مرجع الناس إليه الفدو والرواح . ولم يكن هذا الجمع لهذه العلوم وغيرها - فيما أعلم - لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وها نحن فيما يلي نفرد الحديث عنه - رضي الله عنه - في كل جانب من هذه الجوانب الثلاثة .

من أين حصل على هذا العلم ؟

ولسائل أن يسأل : من اين لابن عباس أن يحصل هذا العلم الواسع المتنوع ، وقد كان من صفار الصحابة . وتوفي رسول الله

(١) البداية والنهاية ٣٠١/٨ .

(٢) سير النبلاء : ٢٣٥/٣ .

صلى الله عليه وسلم ولم يعد الثالثة عشرة من عمره ، وقد كان في أصحاب رسول الله من هو أكبر سناً منه . ولكنه لم يبلغ شأوه فيما وصل إليه ؟ ولكي نجيب على هذا التساؤل لا بد أن نرجع الى حياة ابن عباس لنضع يدنا على المفتاح الذي يفتح لنا مغاليق هذا السؤال .

اننا إذا ما رجعنا الى هذه الحياة وجدنا الأمور التالية :

١ - دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالفقه والفهم ، وكفى بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سبباً لهذا العلم الواسع والفهم العميق .

٢ - ملازمته للرسول صلى الله عليه وسلم : ولقد مرّ بك ان ابن عباس ظلّ منذ أسلم ملازماً للرسول عليه الصلاة والسلام في شتى أنواع حياته : في سفره وفي حضره ، في بيته وخارج بيته ، مما أكسبه معرفة لم تتح لنظرائه من أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام .

٣ - ملازمته لعمر وعلي رضي الله عنهما : وهما من كبار فقهاء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، فقد كان ملازماً لعمر طيلة حياته . واحد الأفراد الذين يجالسهم ويركن اليهم ، وكان أيضاً بعد ذلك ملازماً لابن عمر رضي الله عنه ، سيما في الزمن الذي آلت إليه فيه الخلافة .

قال معمر : عامة علم ابن عباس من ثلاثة : من عمر وعلي وأبي بن كعب (١) .

وقال ابن عباس : لما فتحت المدائن أقبل الناس على الدنيا ، وأقبلت على عمر . فكان عامة حديثه عن عمر (٢) .

(١) البداية والنهاية : ٢٩٨/٨ .

(٢) حياة الصحابة : ٦٤٥/٣ .

٤ - حرصه على العلم وصبره في تحصيله : فقد كان رضي الله عنه لا يأنف أن يأخذ العلم ممن عنده علم ، فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها ، وكان لا تحول شدة الحر ولا شدة البرد دون تلقيه العلم ، ولا تدفعه مكانته من رسول الله أن يتعلم العلم حيثما كان .

روى البيهقي عن ابن عباس قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار : هل لم فلنسأل أصحاب رسول الله فإنهم اليوم كثير ، فقال : يا عجباً لك يا ابن عباس !! أنرى الناس يقتفرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم ؟

قال : فتركت ذلك وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل - القيلولة النوم في منتصف النهار - فأتوسد ردائي على بابه . ويسفي الريح عليّ من التراب ، فيخرج فيراني فيقول : يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ هلاً أرسلت اليّ فآتيك ، فأقول : لا ، أنا أحق أن آتيك . قال : فأسأله عن الحديث ، قال : فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رأيته وقد اجتمع حولي الناس يسألونني فيقول : هذا الفتى كان أعقل مني (١) . وروى محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبي سلمة عن ابن عباس قال : وجدت عامة علم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذا الحي من الأنصار ، إن كنت لأقيل بباب أحدهم ، ولو شئت أن يؤذن لي عليه لأذن لي ، ولكن ابتغي بذلك طيب نفسه (٢) .

(١) البداية والنهاية : ٢٩٨/٨ . وانظر حياة الصحابة :

٦٤٤/٣ .

(٢) المصدر السابق .

رورى محمد بن سعد عن ابي سلمة قال : سمعت ابن عباس يقول : كنت ألزم الاكابر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين والانصار فاسألهم عن مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما نزل من القرآن في ذلك ، وكنت لا آتي احداً منهم إلا سر بإتياني إليه لقربي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلت أسأل أبي بن كعب يوماً - وكان من الراسخين في العلم - عما نزل من القرآن بالمدينة فقال : نزل تسع وعشرون سورة ، وسائرهما مكي (١) .

هـ - كثرة سؤاله وثبته :

لقد كان ابن عباس ملحافاً في العلم ، لا يتوانى عن السؤال فيه ، مثبتاً في نقله ، لا يكتفي بسؤال الرجل أو الرجلين عن المسألة بل يسأل كل من أمكنه أن يسأل عما يريد من الأمور .

ولقد تحدث هو نفسه عن ذلك حينما قيل له : أتى أصبت هذا العلم ؟ فقال : بلسان سؤال وقلب عقول (٢) .

وقال : إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (٣) . وكان لا يستنكف عن سؤال غيره إن دعت حاجة لذلك ، ولقد تجادل ذات مرة مع الحرّ بن قيس في صاحب موسى ، فسأل أبي بن كعب عنه .

(١) البداية والنهاية : ٢٩٨/٨ .

(٢) المصدر السابق : ٢٩٩/٨ .

(٣) سير النبلاء : ٢٣١/٣ .

روى البخاري عن ابن عباس انه تمارى هو والحرّ بن قيس ابن حصن الفزاري في صاحب موسى ، فقال ابن عباس : هو خضر ، فمرّ بهما أبي بن كعب فدعاه ابن عباس فقال : إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل موسى السبيل إلى لقيّه ، هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يذكر شأنه ؟ قال : نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بينما موسى في ملا بني اسرائيل جاءه رجل فقال : هل تعلم أحدا أعلم منك ؟ قال موسى : لا ، فأوحى الله إلى موسى : بلى عبدنا خضر ، فسأل موسى السبيل إليه ، فجعل الله له الحوت آية ، وقيل له : إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه ، وكان يتبع أثر الحوت في البحر ، فقال لموسى فتاه : أرايت إذ أوبنا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ، قال : ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصاً ، فوجدا خضراً فكان من شأنهما الذي قصّ الله عز وجلّ في كتابه (١) .

وكان لا يأخذ عن أحد إلا بعد تثبت واطمئنان وتوثق .

روى مسلم في صحيحه عن مجاهد قال : جاء بشير العدوي إلى ابن عباس ، فجعل يحدث ويقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه ، فقال : يا ابن عباس مالي لا أراك تسمع لحديثي ؟ أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع ! فقال ابن عباس : إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول :

(١) البخاري: ٢٦/١٠ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بأذاننا ، فلما ركب الناس الصَّعْبَ والذُّلُولَ لم تأخذ من الناس إلا ما نعرف (١) .

وبعد : فإن من تجمعت فيه هذه الصفات : دعاء رسول الله له وقرابته منه ، وملازمته له واللفقهاء من أصحابه بعده ، إلى حرص على العلم وإكثار من السؤال عنه وتثبت فيه ، حري به أن يكون لديه هذا العلم الزاخر ، وأن يقال في شأنه : إنه حبر هذه الأمة ، وأن يسميه الناس البحر لسعة علمه (٢) .

هل أثر عماه على علمه ؟

لقد فقد ابن عباس بصره في أخريات عمره ، فهل كان لفقد البصر تأثير على علمه ؟

عن عكرمة قال : كان ابن عباس في العلم بحراً ينشق له الأمر من الأمور ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قال : اللهم الهمة الحكمة وعلمه التأويل . فلما عمي أتاه الناس من أهل الطائف ومعهم علم من علمه ، أو قال : كتب من كتبه ، فجعلوا يستقرئونه ، وجعل يقدم ويؤخر ، فلما رأى ذلك قال : إني تلهت من مصيبتى هذه ، فمن كان عنده علم من علمي فليقرأ عليّ فإن إقرارى له كقراءتي عليه ، فقال : فقرأوا عليه (٣) .

(١) مسلم : ١٠/١ . لا يأذن لحديثه : لا يستمع ولا يصغي . ركب الناس الصعب والذلول . قال النووي : فهو مثال حسن ، فالصعب العسر المرغوب عنه ، والذلول السهل المرغوب فيه ، فالمعنى سلك الناس كل مسلك مما يحمد ويذم .

(٢) انظر سير النبلاء : ٢٣٥/٣ . فما بعدها .

(٣) سير النبلاء : ٢٣٨/٣ . تلهت : تحيرت والأصل ولهت .

ابن عباس والفقه

مكانته في الفقه :

وبعد فقد آن لنا ان نتحدث عن الميدان الاول الذي برع فيه ،
الا وهو ميدان الفقه ، وفي الحق ان ابن عباس قد بلغ فيه مكانة
بذء فيها من سبقه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لقد قال عنه طاووس : ادركت نحواً من خمسمائة من الصحابة
إذا ذكروا ابن عباس فخالفوه ، فلم يزل يقررهم حتى ينتهوا
إلى قوله .

وقال مجاهد : ما سمعت فتياً أحسن من فتيا ابن عباس إلا
ان يقول قائل : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

ولقد كان يقوم بالفتوى في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما ،
فعن عطاء بن يسار : أن عمر وعثمان رضي الله عنهما كانا يدعوان
ابن عباس رضي الله عنهما فيشير مع اهل بدر ، وكان يفتي في عهد
عمر وعثمان إلى يوم مات .

وعن زياد بن ميناء قال : كان ابن عباس ، وابن عمر ، وأبو
سعيد الخدري ، وأبو هريرة ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وجابر
ابن عبد الله ، ورافع بن خديج ، وسلمة بن الأكوع ، وأبو أقداليس ،
وعبد الله بن بحنة ، مع أشباه لهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه

(١) سير النبلاء : ٣/ ٣٢٥ .

وسلم ، يفتون في المدينة ، ويحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من لدن توفي عثمان إلى أن توفوا ، والذين صارت إليهم الفتوى منهم : ابن عباس ، وابن عمر ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو هريرة ، وجابر بن عبد الله (١) .

وكان ابن عباس أكثر فقهاً وفتياً واجتهاداً من عبد الله بن عمر .

فعن نافع قال : كان ابن عمر وابن عباس يجلسان للناس عند قدوم الحاج ، فكنت اجلس إلى هذا يوماً ، وإلى هذا يوماً ، فكان ابن عباس يجيب ويفتي في كل ما سئل عنه ، وكان ابن عمر يرد أكثر ما يفتي (٢) .

وكان ابن عباس أحد الفقهاء السبعة الذين انتهت إليهم الفتيا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانوا من المكثرين فيها .

قال ابن حزم في كتاب الأحكام في الباب الثامن والعشرين : المكثرون من الفتيا من الصحابة رضي الله عنهم ، فيما روى عنهم من الفتيا : عائشة أم المؤمنين - عمر بن الخطاب - ابنه عبد الله - علي بن أبي طالب - عبد الله بن العباس - عبد الله بن مسعود - زيد بن ثابت ، فهم سبعة يمكن أن يجمع من فتيا كل واحد منهم سفر ضخمة ، وقد جمع أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب بن أمير المؤمنين المأمون فتيا عبد الله بن العباس في عشرين كتاباً ، وأبو بكر المذكور أحد أئمة الاسلام في العلم والحديث (٣) .

(١) حياة الصحابة : ٧٨٧/٣ . وانظر سير النبلاء : ٢٢٣/٣ .

(٢) سير النبلاء : ١٤٧/٣ .

(٣) الاحكام لابن حزم : ٦٦٦/٥ . وانظر سير النبلاء : ١٥٩/٣ .

وكان ابن عباس مرجع الصحابة عند اختلافهم في أمور الفقه .

قال ليث بن أبي سليم : قلت لطاؤوس : لم لزمتم هذا الفلام
— يعني ابن عباس — وتركت الأكابر من الصحابة ؟ فقال : إني رأيت
سبعين من الصحابة إذا تماروا في شيء صاروا إلى قوله (١) .

ولقد شهدت له السيدة عائشة بأنه أعلم الناس بمناسك
الحج (٢) .

كما شهد له عبد الله بن عمرو بن العاص — رضي الله عنهما —
فلقد قال : ابن عباس أعلمنا بما مضى وافقنا فيما نزل ، مما لم
يأت فيه شيء (٣) .

وكان رضي الله عنه مع علمه الواسع يكرم العلماء ويحفظ لهم
أقدارهم ، إذ لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذووه .

قال الشعبي : ركب زيد بن ثابت ، فأخذ ابن عباس بركابه ،
فقال : لا تفعل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :
هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا ، فقال زيد : أرني يديك . فأخرج يديه
فقبلهما فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا (٤) .

وكان ابن عباس من شدة وعيه في العلم والتعليم يحث الناس
على السؤال ، ولا يكتفي بذلك بل يسألهم عما فهموه منه ليتأكد
من سلامة فهمهم .

(١) انظر البداية والنهاية : ٣٠١/٨ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) حياة الصحابة : ٧٩٧/٣ .

(٤) البداية والنهاية : ٣٠١/٨ .

فعن أبي السَّفَر يقول : سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول : يا أيها الناس ، اسمعوا مني ما أقول لكم ، واسمعوني ما تقولون ، ولا تذهبوا فتقولوا قال ابن عباس ، قال ابن عباس ، من طاف بالبيت فليطف من وراء الحجر ، ولا تقولوا الحطيم ، فإن الرجل في الجاهلية كان يحلف فيلقي سوطه أو نعله أو قوسه (١) .

منهجه في الفقه :

كان ابن عباس يسلك في فقهه المنهج العلمي الصحيح ، فلا يستعمل رأيه إلا عندما لا يجد نصاً في ذلك ، أو فتوى عن أبي بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم .

فعن عبد الله بن أبي يزيد قال : سمعت ابن عباس رضي الله عنهما إذا سئل عن شيء فإن كان في كتاب الله قال به ، وإن لم يكن في كتاب الله وكان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال به ، فإن لم يكن في كتاب الله ولا عن رسول الله وكان عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ؛ قال به ، فإن لم يكن في كتاب الله ولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أبي بكر ولا عن عمر اجتهد رأيه .

وعن ابن عباس قال : كنا إذا اتانا الثُّبُت عن علي رضي الله عنه لم نعدل به (٢) .

(١) البخاري : ٢٣٨/٤ يحلف : يعقد حلفاً . فيلقي : أي بعد أن يحلف علامة لعقد حلفه ، فسموه بالحطيم لذلك لكونه يحطم أمتعتهم ، فعيل بمعنى فاعل .

(٢) حياة الصحابة : ٧٨٣/٣ .

مسائل من فقهه :

لابن عباس في الفقه مذهب خاص به ينسب إليه ، وقلّما تجد باباً من ابواب الفقه إلا وتجد له فيه رأياً ، وفيما يلي نعرض نبذة من المسائل الفقهية التي كان له فيها رأي بارز ، إذ من المتعذر أن يعرض المرء جميع آرائه في الفقه ، فذاك مما لا تتسع له هذه العجالة .

المسألة الأولى : رايه في قصر الصلاة عند الإقامة في بلد :

إذا أقام المسافر في بلدة ، وكان متردداً غير عازم على إقامة أيام معلومة ، فإلى أي مدى يجوز له قصر الصلاة في هذه البلدة ؟ ذهب ابن عباس إلى أنه في هذه الحالة يقصر تسعة عشر يوماً ، فإن زاد على ذلك أتم .

فقد جاء عن ابن عباس أنه قال : لما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة أقام فيها تسع عشرة يصلي ركعتين ، قال : فإذا سافرنا فأقمنا تسع عشرة قصرنا ، وإن زدنا أتمنا (١) .

وذهب فريق من الصحابة إلى أنه يقصر مادام مسافراً حتى يعود إلى بلدته التي خرج منها ، أو ينوي الإقامة في بلدة أحب أن يسكن فيها ، وروي أن ابن عمر أقام بأذربيجان ستة أشهر يقصر الصلاة ، وروي عن أنس بن مالك أنه أقام بنيسابور سنة أو سنتين يقصر الصلاة . وروي عن جماعة من الصحابة أنهم أقاموا براهمز تسعة أشهر يقصرون الصلاة (٢) .

(١) البخاري : ٣٤/٢ .

(٢) سبل السلام : ٦٦/١ باب صلاة المسافر والمريض .

وذهب الشافعي إلى ما ذهب إليه ابن عباس من أن الصلاة تقصر إذا كان له حاجة يتوقع قضاءها كل يوم ، ما لم تزد على تسعة عشر يوماً بما فيها يوماً للدخول والخروج (١) .

وذهب أبو حنيفة إلى الرأي الثاني ، وهو أنه يقصر الصلاة حتى يعود إلى موضع مقامه ، ما لم ينو الإقامة في مكان صالح للإقامة مدة نصف شهر فيتم عند ذلك (٢) .

المسألة الثانية : رايه في ميراث الجد مع الإخوة :

مسألة الجد والإخوة مسألة عرضت للصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن له فيها قضاء ، لذلك اختلفت فيها أنظارهم وتشعبت آراؤهم ، ولقد كان الخلاف فيها من القوة والحيرة أن دفع عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يقول في حديث له على المنبر : ثلاث أيها الناس وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفارقنا حتى يعهد إلينا فيهن عهداً تنتهي إليه : الكلالة ، والجد ، وأبواب من الربا .

ولقد آل الخلاف إلى ظهور رأيين متخالفين ، انضم إلى كل رأي فريق من الصحابة .

الرأي الأول : رأي أبي بكر ، وابن عباس ، وابن الزبير ، ومعاذ ابن جبل ، وأبي موسى الأشعري ، وأبي هريرة ، وعائشة ، وجمع من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وكان هذا رأي عمر في بادئ الأمر ثم رجع عنه .

(١) انظر مغني المحتاج باب صلاة المسافر .

(٢) انظر حاشية ابن عابدين باب صلاة المسافر .

وهذا الرأي يتلخص في ان الجد اولى في الميراث من الإخوة ،
فإذا وجد معهم حجبهم ، فلا يبقى لواحد منهم ميراث ، لان الجد
اقرب إلى الميت منهم ، لانه أب ، فيحجبهم كما يحجبهم الأب .

قال البخاري رحمه الله : قال ابو بكر وابن عباس وابن الزبير
الجد ١ ب ، وقرأ ابن عباس : يا بني آدم ، واتبعته ملة آباءني إبراهيم
واسحق ويعقوب ، ولم يذكر ان احداً خالف ابا بكر في زمانه ،
واصحاب النبي صلى الله عليه وسلم متوافرون . وقال ابن عباس :
يرثني ابن ابني دون إخوتي ، ولا أرث انا ابن ابني ؟! (١)

الرأي الثاني : رأي علي ، وعمر ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله
ابن مسعود رضي الله عنهم .

ويتلخص هذا الرأي في ان الجد والإخوة كلاهما يرث ، لأنهما
يتساويان في درجة القرب ، إذ كلاهما يدلي إلى الميت عن
طريق الأب .

ولقد قال ابن عباس في الرد على زيد بن ثابت في هذه
المسألة : الا يتقي الله زيد ؟ يجعل ابن الابن ابناً ولا يجعل ابا الاب
أباً . فكان ابن عباس يرى ان القياس يقتضي حرمان الإخوة
مع الجد (٢) .

وإلى الرأي الأول مال ابو حنيفة رحمه الله وفريق من الفقهاء .

وإلى الرأي الثاني مال الإمام الشافعي ومالك وأحمد في اصح
الروايتين عنه . وهذا الرأي هو المعمول به حالياً في الاقطار
الإسلامية (٣) .

(١) البخاري : ٦/٨ .

(٢) إعلام الموقعين : ١٧٦/١ .

(٣) انظر كتابنا اثر الاختلاف في القواعد الأصولية : ١٠٩ .

فما بعدها .

رأيه في ميراث البنّتين :

أجمع الفقهاء على أن البنت الواحدة إذا لم يكن معها معصب تستحق النصف من الميراث ، وإن كانت أكثر من اثنتين فلهما ثلثا ما ترك ، أخذاً من قوله تعالى : « فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثَلَاثُ مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ (١) » .

وأما إذا كانتا اثنتين فقد وقع الخلاف في توريثهما ، فذهب جمهور الفقهاء إلى أن لهما الثلثين أيضاً ، قياساً على الأختين .
وذهب ابن عباس رضي الله عنه إلى أن لهما النصف ، فالواحدة والثلثان سواء (٢) .

وذكر ابن عبد البر أن هذا لم يصح عن ابن عباس رضي الله عنه (٣) .

المسألة الثالثة : رأيه في ميراث الأم مع عدد من الإخوة :

ذهب الجمهور من الفقهاء إلى أنه إذا كان في الورثة أم واثنان أو اثنتان فصاعداً من الإخوة أو الأخوات ، من أي جهة كانا ، فللأم حينذاك السدس . وحملوا قوله تعالى : « فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ » على الاثنين فأكثر .

وذهب ابن عباس رضي الله عنه إلى أنه لا يحجب الأم من الثلث

(١) النساء : ١١

(٢) انظر تفسير القرطبي : ٦٣/٥ . وشرح الرحبية للشيخ السبتي : ٤٣ .

(٣) انظر الشنشوري على الرحبية : ٧٦ .

إلى السدس في هذه الحالة إلا إذا كانوا ثلاثة فصاعداً ، لأنه أقل الجمع . وقال لعثمان رضي الله عنهما : الإخوة بلسان قومك ثلاثة فلم حجت باثنين ؟ فقال عثمان : لا أستطيع غير شيئاً حكم به من قبلي (١) .

المسألة الرابعة : رايه في تحريق الزنادقة :

روى البخاري عن عكرمة قال : أتني عليّ رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم ، فبلغ ذلك ابن عباس فقال : لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تعذبوا بعذاب الله » ولقتلتهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من بدل دينه فاقتلوه » (٢) . ولقد بلغ انتقاد ابن عباس علياً فقال : ويح ابن عباس ، إنه لغوّاص على الهنات .

هذا وممن ذهب إلى المنع من التحريق عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وأجاز ذلك خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وقد حرق أبو بكر رضي الله عنه البغاة بالنار بحضرة الصحابة (٣) .

المسألة الخامسة : رايه في نكاح المتعة :

نكاح المتعة هو تقييد الزواج بمدة معينة أو مجهولة ، سواء أكانت قريبة أم بعيدة ، كأن يقول : تزوجتك يوماً أو شهراً ، أو حتى أخرج من هذه البلدة .

(١) شرح الرحبية للسبتي : ٥٢ .

(٢) البخاري : ٥٠/٨ .

(٣) انظر فتح الباري : ٩٢/٦ .

ولقد كان يرى ابن عباس أن هذا النكاح جائز ، أو على الأقل كان يرى ذلك جائزاً عند الضرورة . ولم يكن قد بلغه نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك .

ففي مسلم أن عبد الله بن الزبير قام بمكة فقال : إن ناساً أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يقتون بالمتعة يعرض رجل - يريد ابن عباس - فناداه فقال : إنك لجلّف جاف ، فلعمري لقد كانت المتعة تفعل على عهد إمام المتقين - يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقال له ابن الزبير : فجرب بنفسك ، فوالله لئن فعلتها لأرجمنك بأحجارك . قال ابن شهاب : فأخبرني خالد بن المهاجر بن سيف الله أنه بينما هو جالس عند رجل جاءه رجل فاستفتاه في المتعة فأمره بها ، فقال له ابن أبي عمرة الأنصاري : مهلاً . قال : ما هي والله لقد فعلت في عهد إمام المتقين ، قال ابن أبي عمرة : إنها كانت رخصة في أول الإسلام لمن اضطر إليها . كالميتة والدم ولحم الخنزير ، ثم أحكم الله الدين ونهى عنها (١) .

روى البخاري أن علياً قيل له : إن ابن عباس لا يرى بمتعة النساء بأساً ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها يوم خيبر وعن لحوم الحمر الإنسية (٢) .

وروي أيضاً عن أبي جمرة قال : سمعت ابن عباس سئل عن متعة النساء فرخص ، فقال له مولى له : إنما ذلك في الحال الشديد وفي النساء قلة أو نحوه ، فقال ابن عباس : نعم (٣) .

(١) مسلم : ١٣٣/٤ .

(٢) البخاري : ٦١/٨ و ١٢٩/٦ .

(٣) البخاري : ١٢٩/٦ .

ولقد كان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يعيب دلي ابن عباس فتواه تلك . ولقد قال له مرة : إنك امرؤ تائه فانظر ما فتيتي به في متعة النساء ، فوالله وأشهد بالله : لقد نهانا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

ولقد نقل كثير من اهل العلم أن ابن عباس رضي الله عنه رجع عن فتياه هذه (٢) .

روى الترمذي عن محمد بن كعب عن ابن عباس قال : إنما كانت المتعة في أول الاسلام ، كان الرجل يقدم البلدة ليس له فيها معرفة . فيتزوج المرأة بقدر ما يرى أنه يقيم . فتحفظ له متاعه . وتصلح له من شأنه . حتى نزلت هذه الآية : « إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم » قال ابن عباس : فكل فرج سواهما حرام (٣) .

فعن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس: ما تقول في المتعة فقد أكثر الناس فيها حتى قال فيها الشاعر ، قال : وما قال ؟ قال : قال :

قد قلت للشيخ لما طال محبسه يا صاح هل لك في فتوى ابن عباس
وهل ترى رخصة الأطراف آنسة تكون مثواك حتى مصدر الناس
قال: وقد قال فيه الشاعر ؟ قلت: نعم ، قال فكرهها أو نهى عنها (٤) .

(١) إعلام الموقعين : ١٤٤/٤ .

(٢) انظر كتاب نيل الأوطار: ١٣٦/٦ . وفتح الباري: ١٣٦/٩ .

(٣) الترمذي .

(٤) نيل الأوطار : ١٣٥/٦ .

ويرى بعضهم ان الذي رجع عنه ابن عباس هو الاباحة المطلقة،
وانه كان يبيحها للمضطر فقط (١) .

هذا ولقد وقع الاجماع على تحريم المتعة بعد أن كانت مباحة،
عندما استفاض حديث المنع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وكان نهياً مؤبداً إلى يوم القيامة .

فعن سبرة الجهني أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فتح مكة ، قال : فأقمنا بها خمسة عشر ، فأذن لنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في متعة النساء ، وذكر الحديث الى أن قال :
فلم اخرج حتى حرّمها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يا أيها الناس
إني كنت قد أذنت لكم في الاستمتاع من النساء ، وإن الله حرم ذلك
الى يوم القيامة ، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ، ولا
تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً (٢) » .

المسألة السادسة : رايه في عقد زواج المحرم :

كان يرى ابن عباس أن للمحرم أن يعقد عقد زواج له ،
وان يزوج غيره ، ولكن المحرم في الحج هو الوطاء ، واستدل على
ذلك بزواج الرسول من خالته ميمونة .

روى البخاري عن ابن عباس قال : « تزوج النبي صلى الله

(١) انظر هامش صحيح مسلم : ١٣٣/٤ .

(٢) مسلم : ١٣٢/٤ .

عليه وسلم ميمونة وهو محرم ، وبنى بها وهو حلال وماتت
بسرف (١) » .

إلا أن الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ذهبوا إلى
أن المحرم بحج أو عمرة لا يجوز له ذلك ، واحتجوا لما ذهبوا
إليه بأمر منها :

١ - ما رواه مسلم عن عثمان رضي الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا
يخطب » .

٢ - ما رواه أبو داود عن يزيد بن الأصم - وهو ابن خالة
ابن عباس - : « أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها حلالاً وبنى
بها حلالاً » .

٣ - ما رواه الترمذي عن أبي رافع قال : « تزوج رسول الله
صلى الله عليه وسلم ميمونة وهو حلال ، وبنى بها وهو حلال ، وكنت
أنا الرسول بينهما » .

وقد ادعى سعيد بن المسيب وهَم ابن عباس في هذه المسألة (٢)

المسألة السابعة : رأيه في المخابرة :

المخابرة : أن يكون العمل في الأرض ببعض ما يخرج منها
والبذر من العامل ، وقد كان ابن عباس يرى جواز ذلك .

(١) البخاري : ٨٦/٥ . وسرف : اسم مكان .

(٢) انظر كتابنا اثر الاختلاف في القواعد الأصولية : ٣٥٢ وفتح
الباري : ١٣٠/٩ - ١٣١ .

روى البخاري : قال عمرو - يعني ابن دنيا - قلت لطاؤوس : لو تركت المخابرة فإنهم يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنها ، قال : أي عمرو . إني أعطيتهم وأغنيهم . وإن أعلمهم أخبرني - يعني ابن عباس رضي الله عنهما - أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينه عنها ، ولكن قال : « أن يمنح أحدكم أخاه خير له من أن يأخذ عليه خراجاً معلوماً (١) » .

وقد ذهب إلى ما ذهب إليه ابن عباس جمهور من الصحابة والتابعين .

وممن ذهب إلى جواز المخابرة القاضي أبو يوسف والامام محمد .

أما الشافعية فذهبوا إلى أن المخابرة غير جائزة لما فيها من الفرر ، واحتجوا على ذلك بأحاديث وردت في النهي عن المخابرة منها : حديث مسلم عن جابر قال : كنا نخابر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصيب من القصري ومن كذا وكذا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من كان له أرض فليزرعها أو ليحرقها أخاه ، والا فلا فليدعها (٢) .

وعن جابر قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المحاقلة والمزابنة والمخابرة وعن بيع الثمر حتى يبدو صلاحه (٣) » .

(١) البخاري : ٦٩/٣ وانظر أيضاً ١٤٥/٣ منه .

(٢) القصري : ما يبقى من الحب في السنبل مما لا يتخلص بعدما يداس .

(٣) المحاقلة في الزرع : بيع الزرع القائم بالحب كيلاً ، والمزابنة : بيع الرطب في النخل بالتمر كيلاً .

المسألة الثامنة : رأيه في غسل الحرم رأسه :

إذا أحرم المسلم بحج أو عمرة فهل يحلّ له أن يغسل رأسه ترفهاً ويزيل أوساخه ؟

كان ابن عمر لا يغسل رأسه وهو محرم إلا من احتلام . وأما ابن عباس فكان يرى أنه يجوز له الاغتسال ترفهاً وتنظفاً . وأجاز للمحرم أن يدخل الحمام ويزيل أوساخه .

وقد دخل هو نفسه الحمام بالجحفة وهو محرم . وقال :
إن الله لا يعبا بأوساخكم شيئاً (١) .

وقد اختلف ابن عباس في مسألة الغسل هذه مع المسور بن مخرمة . فarsل ابن عباس من يسأل أبا أيوب الأنصاري عن ذلك . فاجاب أبو أيوب بما ذهب إليه ابن عباس .

روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن حنين : أن عبد الله ابن العباس والمسور بن مخرمة اختلفا في الأبواء ، فقال عبد الله ابن عباس : يغسل المحرم رأسه . وقال المسور : لا يغسل المحرم رأسه ، فarsلني عبد الله بن العباس إلى أبي أيوب الأنصاري ، فوجدته يفتسل بين القرنين ، وهو يستر بثوب ، فسلمت عليه فقال : من هذا ؟ فقلت : أنا عبد الله بن حنين أرسلني إليك عبد الله بن عباس أسألك كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغسل رأسه وهو محرم . فوضع أبو أيوب يده على الثوب فطأه حتى بدا لي رأسه ثم قال لإنسان يصب عليه : اصب ، فصب

(١) انظر فتح الباري : ٤٠/٤ .

على رأسه ، ثم حرك يديه فأقبل بهما وأدبر وقال : هكذا رأيته صلى الله عليه وسلم يفعل (١) .

وانظر من خلال هذا الحديث إلى حرص ابن عباس على العلم وعدم استكباره أن يسأل من عنده علم ، ولو كان أقل شهرة منه في ذلك .

المسألة التاسعة : رايه في طواف الوداع للحائض :

طواف الوداع : هو الطواف الذي يؤديه الحاج عند منصرفه من البيت الحرام إلى بلاده ، كي يكون آخر عهده بالبيت . وهذا الطواف واجب ، فإذا تركه الحاج كان عليه دم . فإذا كانت المرأة حائضاً ، ولا يمكن أن تطوف فماذا تفعل ؟ ذهب عمر بن الخطاب ، وابنه ، وزيد بن ثابت ، إلى أن عليها المقام حتى تطهر فتطوف طواف الوداع ، وثبت عن ابن عمر وزيد رجوعهما عن ذلك فيما بعد (٢) .

ومذهب ابن عباس أن المرأة إذا حاضت بعد أن طافت طواف الإفاضة فطواف الوداع غير واجب عليها . قال ابن عباس : أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خفف عن الحائض (٣) . وفي البخاري عن عائشة أن صفية بنت حيي زوج النبي

-
- (١) البخاري : ٢/٢١٥ والابواء : بلدة بين مكة والمدينة .
القرنين : هما قرنا البئر المبنيان على جانبيها .
(٢) انظر فتح الباري : ٣/٣٨٠ .
(٣) البخاري : ٢/١٩٥ .

صلى الله عليه وسلم حاضت ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : احبستنا هي ؟ قالوا : إنها قد افاضت قال : فلا إذا .

وعن عكرمة أن اهل المدينة سألوا ابن عباس رضي الله عنهما عن امرأة طافت ثم حاضت ، قال : تنفر ، قالوا : لا نأخذ بقولك وندع قول زيد ، قال : إذا قدمتم المدينة فاسألوا ، فكان فيمن سألوا أم سليم ، فذكرت لهم حديث صفة (١) .

المسألة العاشرة : رايه في التحصيب :

التحصيب : هو النزول في المحصب عقيب النفر من منى ، والبقاء فيه حتى يصلي الظهر والعصر والمغرب والعشاء .

وقد عدّ كثير من الصحابة التحصيب سنة منهم : ابن عمر والخلفاء الأربعة .

وذهبت عائشة وابن عباس إلى أن التحصيب ليس بسنة ، فعن ابن عباس قال : ليس التحصيب بشيء إنما هو منزل نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) .

المسألة الحادية عشرة : رايه في العمرة :

العمرة : هي زيارة البيت الحرام والطواف حوله والسعي والحلق بنية . وقد اختلف في حكمها اهي واجبة أم تطوع ؟

(١) البخاري : ١٩٥/٢ .

(٢) البخاري : ١٩٧/٢ . وانظر فتح الباري .

ذهب المالكية والحنفية إلى أنها تطوع . وذهب الشافعي إلى أنها واجبة كالحج . وهذا هو مذهب ابن عباس رضي الله عنه .
روى البخاري عن ابن عباس قال : إنها لقرينتها في كتاب الله عز وجل : « وأتموا الحج والعمرة لله » وقال ابن عمر رضي الله عنهما : ليس أحد إلا وعليه حجة وعمرة (١) .

المسألة الثانية عشرة : ذوق الطعام للصائم :

قال ابن عباس : لا بأس أن يتطعم القدر أو الشيء . والتطعم : إدخال الطعام في الفم من غير أن يدخل منه إلى الجوف شيء (٢) .
وقال الإمام أحمد : أحب إليّ أن يجتنب ذوق الطعام فإن فعل لم يضره ولا بأس به (٣) .

المسألة الثالثة عشرة : فساد الصوم بالقيء :

ذهب جمهور العلماء إلى التفرقة بين من سبقه القيء فلا يفطر ، وبين من تعمدته فيفطر . إلا أن ابن عباس رضي الله عنه ذهب إلى أن القيء لا يفطر مطلقاً ، وكان رضي الله عنه يقول : الصوم مما دخل وليس مما خرج ، وإلى مثل هذا ذهب ابن مسعود رضي الله عنه (٤) . وهو إحدى روايتين عن مالك رحمه الله تعالى .

(١) البخاري : ١٩٨/٢ . وانظر فتح الباري في أدلة الطرفين .

(٢) البخاري : ٢٣٣/٢ .

(٣) المغني لابن قدامة : ١٠٠/٣ .

(٤) البخاري : ٢٣٦/٢ . وانظر فتح الباري .

المسألة الرابعة عشرة : بيع الحاضر للبادي :

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم النهي عن بيع الحاضر للبادي ، وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى إطلاق النهي وشموله جميع الحالات . أما ابن عباس رضي الله عنهما فذهب إلى المنع من هذا البيع إذا كان البائع يأخذ على ذلك أجراً ؛ بأن يكون سمساراً ، لأنه في هذه الحالة يضيق على المسلمين مصالحهم ، أما إذا لم يأخذ على ذلك أجراً بل قصد إلى نصيحة صاحب الحاجة كي لا يقع به غرر لجهله بالسوق وطرائق البيع والشراء فلا بأس بذلك .

روى طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تَلَقَّوا الركبان ، ولا بيع حاضر لباد . قال : قلت لابن عباس : ما قوله لا بيع حاضر لباد ؟ قال : لا يكون سمساراً (١) .

ولنذكر هنا شيئاً مما كتبه ابن حجر في فتح الباري عند شرح هذا الحديث قال :

« وفي هذا التفسير تعقب على من فسر الحاضر بالبادي بأن المراد نهى الحاضر أن يبيع للبادي زمن الغلاء شيئاً يحتاج إليه أهل البلد ، فهذا مذكور في كتب الحنفية . وقال غيرهم : صورته أن يجيء البلد غريب بسلعته يريد بيعها بسعر الوقت في الحال ، فيأتيه بلدي فيقول له : ضعه عندي لأبيعه لك على التدرج بأغلى من هذا السعر ، فجعلوا الحكم منوطاً بالبادي ومن شاركه في معناه . قال : وإنما ذكر البادي في الحديث لكونه الغالب ، فألحق به من

(١) البخاري : ٢٧/٣ .

يشاركه في عدم معرفة السعر الحاضر وإضرار أهل البلد بالإشارة عليه بأن لا يبادر بالبيع . وهذا تفسير الشافعية والحنابلة . وجعل المالكية البدواة قيداً ، وعن مالك : لا يلتحق بالبدوي في ذلك إلا من كان يشبهه . قال : فأما أهل القرى الذين يعرفون أثمان السلع والأسواق فليسوا داخلين في ذلك . قال ابن المنذر : اختلفوا في هذا النهي فالجمهور أنه على التحريم بشرط العلم بالنهي وأن يكون المتاع المطلوب مما يحتاج إليه ، وأن يعرض الحضري ذلك على البدوي ، فلو عرضه البدوي على الحضري لم يمنع . وزاد بعض الشافعية عموم الحاجة ، وأن يظهر ببيع ذلك المتاع السعة في تلك البلد . . . (١) » .

المسألة الخامسة عشرة : القسمة عن طريق التخراج :

قال ابن عباس : يتخرج الشريكان وأهل الميراث فيأخذ هذا عيناً وهذا ديناً ، فإن توى لأحدهما لم يرجع على صاحبه (٢) .

المسألة السادسة عشرة : قراءة القرآن للجنب والحائض :

ذهب كثير من الفقهاء إلى أنه لا يجوز للجنب والحائض قراءة شيء من القرآن ولو كلمة بقصد القرآن ، باستثناء ما يسمى بأذكار القرآن كالتمسية والحمد ، واحتجوا على ذلك بجملة من الأحاديث الدالة على المنع من ذلك . وذهب أبو حنيفة إلى أنه يجوز له قراءة ما دون آية ، إذ لا يتحقق الإعجاز إلا بالآية فما فوق .

(١) فتح الباري : ٢٥٥/٤ .

(٢) البخاري : ٥٥/٣ . والتوى : هلاك المال .

وحكي عن مالك رضي الله عنه أنه يجوز قراءة القرآن للحائض دون الجنب ، لأن أيامها تطول ، فإن منعناها من القراءة نسيت (١) .

أما ابن عباس رضي الله عنهما فكان لا يرى بأساً بقراءة القرآن للحائض والجنب .

قال الإمام البخاري في صحيحه : ولم ير ابن عباس بالقراءة للجنب بأساً (٢) .

وإلى هذا ذهب البخاري رحمه الله والطبري وابن المنذر وداود ، ولم يصح عندهم الأحاديث الدالة على المنع (٣) .

المسألة السابعة عشرة : اقتداء المتوضىء بالمتيمم :

ذهب جمهور العلماء إلى جواز اقتداء المتوضىء بالمتيمم ، وقد أمّ ابن عباس وهو متيمم ، وقال ابن قدامة في المغني : لا أعلم فيه خلافاً (٤) . إلا أن صاحب فتح الباري قال عند ذكر البخاري عمل ابن عباس : وأشار المصنف بذلك إلى أن التيمم يقوم مقام الوضوء ولو كانت الطهارة به ضعيفة ، لما أمّ ابن عباس وهو متيمم من كان متوضئاً ، وهذه المسألة وافق فيها البخاري الكوفيين

(١) انظر نيل الأوطار للشوكاني : ٢٢٦/١ . والمغني لابن قدامة : ١٤٠/١ .

(٢) البخاري : ٧٩/١ .

(٣) انظر فتح الباري : ٢٨٠/١ .

(٤) انظر المغني لابن قدامة : ١٨٦/٢ . وصحيح البخاري : ٨٨/١ .

والجمهور ، وذهب بعضهم من التابعين وغيرهم إلى خلاف ذلك ، وحجّتهم أن التيمم طهارة ضرورية لاستباحة الصلاة قبل خروج الوقت ، ولذلك أعطى النبي صلى الله عليه وسلم الذي أجنب فلم يصل الإناء من الماء ليفتسل به بعد أن قال له : عليك بالصعيد فإنه يكفيك ؛ لأنه وجد الماء فبطل تيممه (١) .

المسألة الثامنة عشرة : رآه في أن الفخذ عورة :

ذهب ابن عباس إلى أن الفخذ عورة لا يجوز كشفها ، وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ على رجل وفخذه خارجة فقال : غطّ فخذك فإن فخذ الرجل من عورته . رواه أحمد والبخاري تعليقا ، وروى جرهد الأسلمي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : غطّ فخذك فإن الفخذ عورة ، رواه مالك وأحمد وأبو داود والترمذي ، وإلى هذا ذهب الشافعي وأبو حنيفة ، وقال النووي : ذهب أكثر العلماء إلى أن الفخذ عورة .

وذهب أحمد ومالك وابن جرير وأهل الظاهر إلى أن العورة القبل والدبر فحسب ، واحتجوا على ذلك بما روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا كاشفا عن فخذيه ، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على حاله ، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على حاله ، ثم استأذن عثمان فأرخى عليه ثيابه ، فلما قاموا قلت : يا رسول الله استأذن أبو بكر وعمر فأذنت لهما وانت على حالك ، فلما استأذن عثمان أرخيت عليك ثيابك ، فقال : « يا عائشة إلا استحيي من رجل - والله - إن الملائكة لتستحيي منه » . رواه أحمد .

(١) انظر فتح الباري : ٣٠٥/١ .

وبما رواه انس ان النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر حصر
الإزار عن فخذه حتى إني لأنظر إلى بياض فخذه . رواه البخاري .
وقال البخاري في ذلك : حديث انس اسند ، وحديث جرهد
أحوط (١) .

المسألة التاسعة عشرة : الترخيص في ترك الجمعة في اليوم الماطر وفي الطين :

كان يرى ابن عباس انه لا يجب الحضور إلى الجمعة إذا كان
مطر أو طين يشق بسببه الحضور إلى الصلاة .

روى البخاري في صحيحه : ان ابن عباس قال لمؤذنه في يوم
مطر : إذا قلت أشهد ان محمداً رسول الله فلا تقل حيّ على الصلاة ،
قل : صلوا في بيوتكم ، فكأن الناس استنكروا ، قال : فعله من
هو خير مني ، إن الجمعة عزمة ، وإني كرهت أن أخرجكم فتمشون
في الطين والدحض (٢) . إن الجمعة عزمة : أي الدعاء إليها عزيمة :
يوجب الإجابة على من سمع . وورد في بعض الروايات : إنها عزمة :
أي كلمة المؤذن حي على الصلاة والدحض : الزلق .

(١) انظر في هذا البحث نيل الأوطار : ٦٢/٢ فما بعدها
وفتح الباري : ٣٢٦/١ .

(٢) انظر البخاري : ١٥٣/١ و ٢١٦/١ وانظر فتح الباري
عند شرحه الحديث .

المسألة العشرون : الجهر بالذكر عقب الصلاة :

روى البخاري ان ابن عباس قال : إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال أيضا : كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته (١) .

المسألة الحادية والعشرون : استلام أركان الكعبة :

كان ابن عباس يرى أن لا يستلم من الكعبة إلا الركنان اليمانيان فقط ، وهذا هو ما ذهب إليه الجمهور ، وذهب جمع من الصحابة والتابعين إلى استلام جميع الأركان ، وكان ممن يرى استلام جميع الأركان معاوية رضي الله عنه .

روى البخاري أن معاوية كان يستلم الأركان ، فقال له ابن عباس رضي الله عنهما : إنه لا يستلم هذان الركنان ، فقال : ليس شيء من البيت مهجوراً (٢) .

وعند غير البخاري فقال له ابن عباس : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فقال معاوية : صدقت (٣) . والاستلام : للمس باليد أو بالتقبيل أو بعصا .

المسألة الثانية والعشرون : نجاسة الميت :

كان ابن عباس يرى أن المؤمن لا ينجس بالموت . وإلى هذا

(١) رواه البخاري : ٢٠٤/١ .

(٢) البخاري : ١٦٢/٢ .

(٣) فتح الباري : ٣٠٨/٣ .

ذهب جمع من العلماء ، منهم : الإمام الشافعي . وقد قال ابن عباس : المسلم لا ينجس حياً ولا ميتاً .

وذهب فريق من العلماء ، منهم الحنفية والمالكية إلى نجاسة الميت إلا أنه إذا غسل حكم بطهارته تكريماً له (١) .

المسألة الثالثة والعشرون : تعذيب الميت ببكاء أهله عليه :

كان عمر وابنُه رضي الله عنهما يريان أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه . بينما ابن عباس كان يرى أن ذلك لا يكون لما فيه من المؤاخذة بفعل الغير ، وإلى هذا ذهب عائشة وجمهور من العلماء وجماعة الشافعية (٢) .

روى البخاري عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة قال : توفيت ابنة لعثمان رضي الله عنه بمكة ، وجئنا لنشهدها ، وحضرها ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما . وإني لجالس بينهما ، أو قال : جلست إلى أحدهما ، ثم جاء الآخر فجلس إلى جنبي . فقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لعمر بن عثمان : ألا تنهى عن البكاء ؟ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه . فقال ابن عباس رضي الله عنهما : قد كان عمر رضي الله عنه يقول بعض ذلك ، ثم حدث فقال : صدرت مع عمر رضي الله عنه من مكة حتى إذا كنا بالبيداء إذا هو بركب تحت ظل سمرة ، فقال : اذهب فانظر من هؤلاء الركب ، قال : فنظرت فإذا صهيب فأخبرته فقال : ادع لي ، فرجعت إلى صهيب فقلت : ارتحل

(١) انظر فتح الباري : ٨٢/٣ . وبدائع الصنائع : ٢٩٩/١ .

(٢) انظر نيل الأوطار : ١٠٣/٤ .

فالحق بأمر المؤمنين ، فلما أصيب عمر دخل صهيب يبكي يقول :
 وإخاه وأصحابه ، فقال عمر : يا صهيب أتبكي عليّ وقد قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الميت ليعذب ببعض بكاء أهله
 عليه ؟ قال ابن عباس رضي الله عنه : فلما مات عمر ذكرت ذلك
 لعائشة رضي الله عنها فقالت : يرحم الله عمر ، والله ما حدث
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله
 عليه ، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله ليزيد
 الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه ، وقالت : حسبكم القرآن « ولا تزر
 وازرة وزر أخرى » قال ابن عباس رضي الله عنهما عند ذلك : والله
 هو أضحك وابكى . قال ابن أبي مليكة : والله ما قال ابن عمر
 رضي الله عنهما شيئاً (١) .

المسألة الرابعة والعشرون : نية الحج في غير أشهر الحج :

أشهر الحج هي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة .
 فإذا نوى الإنسان الحج في هذه الأشهر كانت نيته صحيحة باتفاق .
 وقد اختلف في الإهلال بالحج في غير أشهر الحج ، فروي عن
 مالك وأبي حنيفة جواز الدخول بالحج في جميع أشهر السنة كلها .
 وحجتهم في ذلك قوله تعالى : « يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت
 للناس والحج » .

وقال عطاء ومجاهد وطاووس والأوزاعي : من أحرم بالحج
 قبل أشهر الحج لم يجزه ذلك عن حجه ويكون عمرة ، وبهذا
 قال الشافعي وأبو ثور .

(١) البخاري : ٨٠/٢ - ٨١ .

وذهب ابن عباس إلى أن أشهر الحج - كما ذكرنا - هي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة ، فلا يصح الإحرام بالحج في غير هذه الأشهر (١) .

قال ابن عباس : من السنة أن لا يحرم بالحج إلا في أشهر الحج (٢) .

وروى ابن جرير عن ابن عباس قوله : «الحج أشهر معلومات» وهن شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة جعلهن الله سبحانه للحج ، وسائر الشهور للعمرة ، فلا يصلح أن يحرم بالحج إلا في أشهر الحج ، والعمرة يحرم بها في كل شهر (٣) .

المسألة الخامسة والعشرون : هل الخلع طلاق :

يذهب ابن عباس إلى أن الخلع فداء وليس بطلاق . وكان يتأول الآية « الطلاق مرتان » ويقول ذكر الله الطلاق في أول الآية ، والفداء في وسطها ، وذكر الطلاق بعدها ، فالفداء ليس بطلاق ، وإنما هو فداء .

وإلى هذا ذهب الإمام أحمد رضي الله عنه (٤) . وذهب غير واحد من العلماء ومنهم الشافعي إلى أنه طلاق بائن ، فلا يمكن العود إليها إلا بعقد ومهر جديدين (٥) .

(١) انظر تفسير القرطبي : ٤٠٦/٢ .

(٢) البخاري : ١٥٠/٢ .

(٣) تفسير ابن جرير الطبري : ١٥/٤ .

(٤) إعلام الموقعين : ١٩٥/١ .

(٥) انظر البحث مفصلاً في نيل الأوطار : ٢٤٩/٦ .

المسألة السادسة والعشرون : ثبوت حق الشفعة للجار :

الشفعة : انتقال حصة شريك إلى شريك كانت قد انتقلت إلى أجنبي بمثل العوض المسمّى . يذهب ابن عباس رضي الله عنه إلى أن حق الشفعة لا يثبت إلا للشريك ، وأما الجار فليس له حق الشفعة . وهذا القول هو المنقول عن علي وعمر وعثمان وسعيد ابن المسيب وسليمان بن يسار وعمر بن عبد العزيز والأوزاعي .

وإليه ذهب الإمام الشافعي ومالك وأحمد رحمهم الله جميعاً ، واحتجوا لما ذهبوا إليه بحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قضى النبي صلى الله عليه وسلم بالشفعة في كل ما لم يقسم فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة . رواه البخاري .

وذهب جملة من الفقهاء منهم الحنفية إلى أن حق الشفعة يثبت للجار كما يثبت للشريك ، واحتجوا بحديث : « جار الدار أحق بالدار من غيره » . رواه أحمد وأبو داود والترمذي (١) .

المسألة السابعة والعشرون : رأيه في أقل مدة الحمل :

كان ابن عباس رضي الله عنه يرى أن أقل مدة الحمل ستة أشهر ، أخذاً من قوله تعالى : « وحمله وفصاله ثلاثون شهراً » مع قوله : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين » .

روي أن عثمان قد أتى بامرأة قد ولدت لسته أشهر ، فأراد أن يقضي عليها بالحدّ حتى ذكره ابن عباس فأقرّ به (٢) .

(١) انظر نيل الاوطار : ٣٣٠/٥ واعلام الموقعين : ٩٣/٢ .

(٢) اعلام الموقعين : ٣٠٧/١ .

وفي تفسير القرطبي أن الذي ذكره بذلك هو علي رضي الله عنه (١) .

المسألة الثامنة والعشرون : عدة الحامل المتوفى عنها زوجها:

كان ابن عباس رضي الله عنهما يرى أن المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملاً عدتها أبعد الأجلين ، عملاً بالعموم في الآيتين وهما قوله تعالى : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً » وقوله تعالى : « وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن » . وإلى مثل ذلك ذهب علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

بينما ذهب الجمهور إلى أن عدتها تنتهي بوضع الحمل ، وأن الآية الثانية مخصصة للآية الأولى .

وقد أوضح هذا التخصيص ما رواه البخاري : « أن امرأة من أسلم يقال لها سبيعة كانت تحت زوجها ، توفي عنها وهي حبلى ، فخطبها أبو السنابل بن بعكك ، فأبت أن تنكحه ، فقال : والله ما يصلح أن تنكحيه حتى تعتدي آخر الأجلين ، فمكثت قريباً من عشر ليالٍ ثم جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : انكحي (٢) » .
ونقل عن ابن عباس رضي الله عنه أنه رجع عن هذا القول (٣) .

(١) تفسير القرطبي : ١٦ / ١٩٣ .

(٢) قال لها أبو السنابل ذلك عندما رآها قد تجملت لغيره من الخطاب ، وانظر في هذا الموضوع كتابنا اثر الاختلاف في القواعد الأصولية .

(٣) انظر نيل الاوطار : ٦ / ٢٨٩ .

والذي يظهر أن ابن عباس قد رجع عن فتواه هذه عندما سأل أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك .

فعن أبي سلمة قال : جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة جالس عنده ، فقال : أفتني في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة ، فقال ابن عباس : آخر الأجلين ، قلت أنا : « وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن » قال أبو هريرة : أنا مع ابن أخي (يعني أبا سلمة) فأرسل ابن عباس غلامه كريماً إلى أم سلمة يسألها ، فقالت : قتل زوج سُبَيْعة الأسلمية وهي حبلى ، فوضعت بعد موته بأربعين ليلة ، فخطبت فأنكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو السنابل فيمن خطبها (١) .

المسألة التاسعة والعشرون : رايه في التصوير :

عن سعيد بن أبي الحسن قال : كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما إذ أتاه رجل فقال : يا أبا عباس ، إني إنسان إنما معيشتي من صنعة يدي ، وإني أصنع هذه التصاوير ، فقال ابن عباس : لا أحدثك إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعته يقول : من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح ، وليس بنافخ فيها أبداً ، فربا الرجل ربوة شديدة واصفر وجهه ، فقال : ويحك إن أبيت إلا أن تصنع فعليك بهذا الشجر وكل شيء ليس فيه روح (٢) .

(١) البخاري : ٦٧/٦ .

(٢) البخاري : ٤١/٣ . وربا الرجل أي أصابه الربو ، وهو مرض يعلو منه النفس ويضيق الصدر ، أو ذعر وامتلاً خوفاً ، أو انتفخ .

وبعد : فما هي هذه الصورة ذات الروح التي نهى ابن عباس عن تصويرها ؟ .

لقد اختلف العلماء في الصور المحرمة على آراء ، إليك بيانها :

قال النووي : قال أصحابنا وغيرهم من العلماء : تصوير صورة الحيوان حرام شديد التحريم ، وهو من الكبائر ، لأنه متوعد عليه بالوعيد الشديد المذكور في الأحاديث ، وسواء صنعه لما يمتن أو لغيره ، فصنعه حرام بكل حال ، لأن فيه مضاهاة لخلق الله تعالى ، وسواء ما كان في ثوب أو بساط أو درهم أو دينار أو فلس ، وإناء وحائط وغيرها ، وأما تصوير صورة الشجر وجبال الأرض وغير ذلك مما ليس فيه صورة حيوان فليس بحرام . هذا حكم نقش التصوير .

وأما اتخاذ ما فيه صورة حيوان فإن كان معلقاً على حائط أو ثوباً أو عمامة أو نحو ذلك مما لا يعدّ ممتناً فهو حرام . وإن كان في بساط يداس ومخدة ووسادة ونحوها مما يمتن فليس بحرام .

ولا فرق في ذلك كله بين ماله ظل وما لا ظل له . هذا تلخيص مذهبنا في المسألة .

وبمعناه قال جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ممن بعدهم . وهو مذهب الثوري ومالك وأبي حنيفة وغيرهم .

وقال بعض السلف : إنما ينهى عما كان له ظل ، ولا بأس بالصور التي ليس لها ظل .

وقال آخرون : يجوز منها ما كان رقماً في ثوب ، سواء أمتن أم لا ، سواء علق في حائط أم لا . وهو مذهب القاسم بن محمد . واجمعوا على منع ما كان له ظل ووجوب تغييره .

قال القاضي عياض : إلا ما ورد في اللعب بالبنات لصفار البنات
والرخصة في ذلك . لكن كره مالك شراء الرجل ذلك لابنه (١) .

هذا وقد ذكر العلامة ابن حجر في شرحه على البخاري آراء
العلماء في اتخاذ الصور ناقلاً ذلك عن ابن العربي قال : قال ابن العربي :
« حاصل ما في اتخاذ الصور أنها إن كانت ذات أجسام حرم
بالاجماع ، وإن كانت رقماً فأربعة أقوال :

الأول : يجوز مطلقاً على ظاهر قوله في حديث الباب : « إلا
رقماً في ثوب » .

الثاني : المنع مطلقاً حتى الرقم .

الثالث : إن كانت الصورة باقية الهيئة قائمة الشكل فحرام ،
وإن قطعت الرأس أو تفرقت الأعضاء جاز ، قال : وهذا هو الأصح .

الرابع : إن كان مما يمتن جاز ، وإن كان معلقاً لم يجز (٢) .

هذا : وهل يدخل في التحريم ما يسمى بالتصوير الشمسي
(الفتوغرافي)؟ أجاب عن هذا السؤال الشيخ محمد علي السائس فقال :

ولعلك تريد بعد ذلك أن تعرف حكم ما يسمى بالتصوير الشمسي
(الفتوغرافي) فنقول : يمكنك أن تقول : إن حكمها حكم الرقم في
الثوب ، وقد علمت استثناءه نصاً ، ولك أن تقول : إن هذا ليس

(١) انظر نيل الأوطار : ١٠٢/٢ باب اللباس .

(٢) انظر فتح الباري : ٣٠٢/١٠ .

تصويراً ، بل حبس للصورة ، وما مثله إلا كمثل الصورة في المرأة . لا يمكنك ان تقول : إن ما في المرأة صورة ، وإن احداً صورها ، والذي تصنعه آلة التصوير هو صورة لما في المرأة . غاية الامر ان مرآة الفتوغرافية تثبت الظل الذي يقع عليها، والمرآة ليست كذلك ، ثم توضع الصورة او الخيال الثابت في (العفريتة) في حمض خاص فيخرج منه عدة صور ، وليس هذا بالحقيقة تصويراً ، فإنه إظهار واستدامة لصورة موجودة، وحبس لها عن الزوال، فإنهم يقولون: إن صور جميع الأشياء موجودة ، غير انها قابلة للانتقال بفعل الشمس والضوء ، ما لم يمنع من انتقالها مانع ، والحمض هو ذلك المانع .

ومادام في الشريعة فسحة بإباحة هذه الصور كاستثناء الرقم في الثوب فلا معنى لتحريمها ، خصوصاً وقد ظهر ان الناس قد يكونون في أشد الحاجة إليها (١) .

المسألة الثلاثون : رآه فيمن يجد شيئاً كالمني خرج منه عقب البول :

عن مجاهد قال : بينما نحن جلوس أصحاب ابن عباس رضي الله عنهما - عطاء وطاوس وعكرمة - إذ جاء رجل ، وابن عباس قائم يصلي ، فقال : هل من مفت ؟ فقلت : سل ، فقال : إني كلما بلت تبعه الماء الدافق ، فقلنا : الذي يكون منه الولد ؟ قال : نعم ، فقلنا : عليك الغسل ، فولى الرجل وهو يرجع ، وعجل ابن عباس في صلاته ، فلما سلم قال : يا عكرمة عليّ بالرجل ، فأتاه به ثم أقبل

(١) تفسير آيات الاحكام للسايس : ٦١/٤ .

علينا فقال: أرايتم ما افتيتم به هذا الرجل ؟ عن كتاب الله ؟ قلنا: لا ، قال : فمن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلنا : لا ، قال : فمن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلنا : لا ، قال : فمن من ؟ قلنا : عن رأينا فقال : لذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » ثم أقبل على الرجل فقال : أرايت إذا كان منك هل تجد شهوة في قلبك ؟ قال : لا ، قال : فهل تجد خدرأ في جسدك ؟ قال : لا ، قال : إنما هذا بردة يجزيك منها الوضوء (١) .

الوطء الحرام هل يحرم الحلال :

قال عكرمة عن ابن عباس : إذا زنى بأخت امرأته لم تحرم عليه امرأته . قال عكرمة عن ابن عباس : إذا زنى بها فلا تحرم عليه امرأته (٢) . وهذه المسألة التي أفتى فيها ابن عباس بالحل هي مسألة خلافية ، اختلفت فيها آراء العلماء واليك تفصيل الآراء في ذلك :

اتفق الفقهاء على أن الأب إذا عقد على امرأة حرم على ابنه الزواج منها ، سواء أدخل بها الأب أم لم يدخل ، لا يوجد في ذلك خلاف بين المسلمين . غير أنهم اختلفوا فيمن زنى بها الأب أتحرم على الابن كما حرمت عليه زوجته ، فيكون الوطء المحرم ناشراً للحرمة أم لا تحرم فيكون الوطء المحرم غير ناشر لها ؟

(١) حياة الصحابة : ٦٤٩/٣ - ٦٥٠ .

(٢) البخاري : ١٢٦/٦ - ١٢٧ .

ذهب الشافعي ومالك في الموطأ إلى أن الوطء الحرام لا يحرم الحلال ، فلا تحرم امرأة زنى بها الأب ، وبمثل ما قالوا قال سعيد ابن المسيب ، ويحيى بن يعمر ، وعروة ، والزهرى ، وأبو ثور ، وابن المنذر .

قال الشافعي في الام: فإن زنى بامرأة ابية أو ابنه أو أم امراته، فقد عصى الله تعالى ، ولا تحرم عليه امراته ، ولا على ابية ، ولا على ابنه امراته ، لو زنى بواحدة منهما، لأن الله عز وجل إنما حرم بحرمة الحلال تعزيزاً لحلاله ، وزيادة في نعمته ، بما أباح منه ، بأن أثبت به الحرم التي لم تكن قبله ، وأوجب بها الحقوق، والحرام خلاف الحلال .

وفي الموطأ قال مالك : فأما الزنى فإنه لا يحرم شيئاً من ذلك لأن الله تبارك وتعالى قال: « وامهات نسائكم » فإنما حرم ما كان تزويجاً ولم يذكر تحريم الزنى، فكل تزويج على وجه الحلال يصيب صاحبه امراته ، فهو بمنزلة التزويج الحلال ، فهذا الذي سمعت والذي عليه أمر الناس عندنا .

وقال مالك في الرجل يزني بالمرأة فيقام عليه الحد فيها : إنه ينكح ابنتها ، وينكحها ابنه إن شاء ، وذلك أنه أصابها حراماً ، وإنما الذي حرم الله ما أصاب بالحلال، أو على وجه الشبهة بالنكاح.

وذهب أبو حنيفة وأحمد إلى أن الوطء الحرام يحرم الحلال، فلا يحل له أن يتزوج بمن وطئها أبوه بالزنى ، وبمثل ما قالوا قال الحسن ، وعطاء، وطاووس، ومجاهد ، والشعبي، والنخعي، والثوري ، وإسحاق . وروي نحو ذلك عن عمران بن حصين (١) .

(١) انظر « أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء » ص ٧٨/٧٩ للمؤلف .

وبعد :

فهذا قليل من كثير من فقه ابن عباس رضي الله تعالى عنه ،
ولا عجب أن يكون له كل هذا الفقه ، وأن يكون مرجعاً للصحابة
رضي الله تعالى عنهم في كثير من الأمور الفقهية . فلقد اثنى عليه
صلى الله عليه وسلم ، وكان الرسول قد كشف له الغيب فقال :
« إن حَبْرَ هذه الأمة ابن عباس » (١) .

(١) سير النبلاء : ٢٢٨/٣ .

ابن عباس والتفسير

ترجمان القرآن :

اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة : الخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن الزبير . أما الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم : علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والرواية عن الثلاثة قليلة جداً ، وكان السبب في ذلك تقدّم وفاتهم .

روى معمر عن وهب بن عبد الله بن أبي الطفيل قال : « شهدت علياً رضي الله عنه يخطب ويقول : سلوني ، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم . وسلوني عن كتاب الله ، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار ؟ أفي سهل أم في جبل (١) » .

ومهما قلنا في شأن المفسرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمما لا شك فيه أن ابن عباس رضي الله عنه قد برع في كتاب الله وتفسيره ، وبلغ فيه شأواً لم يبلغه غيره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أصبح جديراً بأن يسمى بحق ترجمان القرآن .

قال ابن مسعود : نعم ترجمان القرآن ابن عباس .

(١) انظر مناهل العرفان : ٤٨٢/١ .

ولقد كان ابن عباس يتقن تفسير القرآن كله ، فلا يفوته منه شيء .

قال ابن أبي سليكة : رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه الواحه ، فيقول له ابن عباس : اكتب ، قال : حتى سأله عن التفسير كله .

وعن مجاهد قال : عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات ، من فاتحته إلى خاتمته ، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها (١) .

ممن أخذ التفسير :

ولسائل أن يسأل - كما سأل في الفقه - ومن أين حاز ابن عباس هذا العلم الجم في القرآن الكريم ، والفترة التي قضاها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت - كما قدمنا - فترة قصيرة لا تتسع لكل هذه المعرفة التي يضطلع بها ابن عباس ؟

وللجواب عن هذا نقول : إن التفسير عند ابن عباس قد حازه من أربعة مصادر :

أحدها : ما كان قد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وربما كان هذا نزرأ يسيراً بالنسبة لما يأتي من المصادر .

مثال ذلك ما ورد عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى : « وقالوا اتخذ الله ولداً » .

(١) تفسير الطبري : ٩٠/١ .

روى نافع بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال الله : كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ، فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان ، وأما شتمه إياي فقله لي ولد ، فسبحاني أن اتخذ صاحبة أو ولداً (١) .

ثانيهما : ما تلقاه عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعده ، ولقد مرَّ بك أن ابن عباس كان يتردد على أولي العلم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يستقي من معين علمهم ، ويتحمل في ذلك قسوة الحرِّ والبرد على أبوابهم ، فلا غرو أنه كان من البدهي أن يتلقف عنهم كثيراً من معاني كتاب الله الكريم . وأشهر من تلقى عنه التفسير من الصحابة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، قال ابن عباس : « ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب (٢) » وكذلك عمر رضي الله عنه .

ففي البخاري عن ابن عباس قال : قال عمر رضي الله عنه يوماً لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : فيم ترون هذه الآية نزلت ؟ « أيود أحدكم أن تكون له جنة » قالوا : الله أعلم ، فغضب عمر ، فقال : قولوا: نعم أو لا نعم ، فقال ابن عباس : في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين ، قال عمر : يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك ، قال ابن عباس : ضربت مثلاً لعمل ، قال عمر : أي عمل ؟ قال ابن عباس : لعمل ، قال عمر : لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق عمله (٣) .

(١) البخاري : ١٤٩/٥ .

(٢) مناهل العرفان : ٤٨٦/١ .

(٣) البخاري : ١٦٤/٥ .

ثالثهما : معرفته الواسعة وعلمه الجم باللغة العربية ، فلقد كان رضي الله عنه - ذا معرفة عالية في اللغة العربية وآدابها وعلومها .

ولقد مرّ بك قول عطاء : ما رايت مجلساً أكرم من مجلس ابن عباس ، ولا أكثر فقهاً ، ولا أعظم هيبة ، أصحاب القرآن يسألونه ، وأصحاب العربية يسألونه ، وأصحاب الشعر يسألونه ، فكلهم يصدر عن وادٍ واسع .

ولقر مرّ بك أيضاً قول عبد الله بن عتبة في ابن عباس : وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث النبي صلى الله عليه وسلم منه ، ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه ، ولا أفقه في رأي منه ، ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا تفسير للقرآن ، ولا بحساب ولا فريضة منه .

رابعها : التفسير بالمقتضى من معنى الكلام ، والمقتضب من قوة الشرع ، وهذا النوع من التفسير هو الذي دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال : «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» .

وهذا هو الذي عناه علي بقوله : إلا فهماً يؤتاه الرجل في القرآن (١) .

روى البخاري عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال : قلت لعلي رضي الله عنه : هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله عز وجل؟ قال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن ، وما في هذه الصحيفة ، قلت : وما في الصحيفة؟ قال : العقل وفكاك الأسير ، وأن لا يقتل مسلم بكافر (٢) .

(١) انظر تفسير محاسن التأويل للقاسمي : ٨/١ .

(٢) البخاري : ٣٠/٤ .

وهذا المنهج الذي سلكه ابن عباس في التفسير هو المنهج الصحيح الذي يتوصل به إلى معرفة كتاب الله عز وجل على الوجه الصحيح ، إذ إن ما يستطيع الناس فهمه من كتاب الله ، مما لم يستأثر الله بعلمه ، ليس له إلا طريق النقل إن وجد في ذلك نقل صحيح ، أو الرجوع إلى اللغة العربية التي أنزل القرآن الكريم بها أو إعمال العقل مستعيناً بمقاصد الشريعة وأهدافها . وأما ما عدا ذلك من الرجوع إلى الرأي المحض ، أو الهوى المنحرف ، فهذا لا يعدّ من التفسير في شيء ، وهذا النوع من التفسير هو النوع الذي جاء ذم الشارع له بقوله فيما رواه ابن عباس : « من قال في القرآن برأيه فليتبوا مقعده من النار (١) » .

وقد تحدث ابن عباس نفسه عن أوجه التفسير فقال : التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره (٢) .

ابن عباس والأخذ عن أهل الكتاب :

لقد كان ابن عباس رضي الله عنه يكره أن يأخذ عن أهل الكتاب شيئاً ، وكان يكره مسألتهم ، وينهى الناس عن سؤالهم ، ويكتفي بما ورد في القرآن الكريم من أخبار الأمم السابقة وغير ذلك .

فعن عبيد الله بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) انظر في تخريج هذا الحديث حاشية تفسير الطبري : ٧٧/١ .

(٢) تفسير الطبري : ٧٥/١ .

أحدث؟! تقرأونه محضاً لم ينسب . وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه ، وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا : هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ؟ لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم .

ولعلّ في هذا الخبر الصحيح ما يدرأ كثيراً من الإسرائيليات التي يدّعي ناقلوها أنهم قد نقلوها عن ابن عباس رضي الله عنهما .

تفسير ابن عباس وطرق الرواية عنه :

لقد ألف الإمام محمد بن يعقوب الفيرز أبادي صاحب القاموس كتاباً أسماه « تنوير المقباس من تفسير ابن عباس » ورواية هذا التفسير تدور على محمد بن مروان الملقب « بالسدي الصغير » عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس .

وهذه الطريق ليست بمعتمدة عند أهل العلم . ولقد تحدث الإمام الذهبي عنها في كتابه « ميزان الاعتدال » فقال :

محمد بن مروان السدي الكوفي : وهو السدي الصغير . يروي عن هشام بن عروة عن الأعمش .

تركوه واتهمه بعضهم بالكذب . وهو صاحب الكلبي .

قال البخاري : سكتوا عنه . وهو مولى الخطابين . ولا يكتب حديثه البتة .

وقال ابن معين : ليس بثقة . وقال أحمد : أدركته وقد كبر فتركته (١) .

(١) ميزان الاعتدال : ٣٢/٤ .

ومن هنا نستطيع القول : إن ما وجد في هذا التفسير لا يمكن أن يؤخذ بعين القبول إلا بعد تمحيصه ووروده من طرق أخرى يطمأن إليها .

هذا وقد ذكر العلماء الطرق التي بها نقل شيء من التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما وبينوا صحيحها من ضعيفها ، وقويها من سقيمها ، فمن أشهر الطرق عنه :

١ - طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس . وهذه أجود الطرق عنه ، وفيها قال الإمام أحمد : « إن بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة : لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً » .

وقال الحافظ ابن حجر : « وهذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث ، رواها عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وهي عند البخاري عن أبي صالح ، وقد اعتمد عليها في صحيحه فيما يعلقه عن ابن عباس .

٢ - طريق قيس بن مسلم الكوفي عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . وهذه الطريق الصحيحة على شرط الشيخين .

٣ - طريق ابن اسحق صاحب السِّير ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس . وهي طريق جيدة وإسنادها حسن .

٤ - طريق إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير ، تارة عن أبي مالك ، وتارة عن أبي صالح عن ابن عباس ، وإسماعيل السدي مختلف فيه ، وهو تابعي شيعي ، قال السيوطي : روى عن السدي الأئمة مثل الثوري وشعبة ، لكن التفسير الذي جمعه رواه أسباط بن نصر ، وأسباط لم يتفقوا عليه ، غير أن أمثل التفاسير تفسير السدي .

٥ - طريق عبد الملك بن جريج، عن ابن عباس . وهذه الطريق تحتاج الى دقة في البحث ، فإن ابن جريج روى ما ذكر في كل آية من الصحيح والسقيم .

٦ - طريق الضحاك بن مزاحم الهلالي عن ابن عباس . وهي طريق غير مقبولة لأن الضحاك مختلف في توثيقه . وطريقه إلى ابن عباس منقطعة ، لأنه لم يلقه فإن انضم الى ذلك رواية بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك فضعيفة ، لضعف بشر .

٧ - طريق عطية العوفي عن ابن عباس . وهي غير مقبولة . لان عطية ضعيف .

٨ - طريق مقاتل بن سليمان الأزدي الخراساني . ومقاتل ضعيف ، يروي عن مجاهد وعن الضحاك ولم يسمع منهما . وقد كذبه غير واحد ، ولم يوثقه أحد ، واشتهر عنه التجسيم والتشبيه . وقال أحمد بن حنبل : « لا يعجبني أن أروي عن مقاتل بن سليمان شيئاً » .

٩ - طريق محمد بن السائب الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس . وهذه أوهى الطرق ، والكلبي مشهور بالتفسير ، وقد قيل فيه : أجمعوا على ترك حديثه وليس بثقة ، ولا يكتب حديثه ، واتهمه جماعة بالوضع ، ولذا قال السيوطي في الاتقان : فإن انضم الى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير عنه فهي سلسلة الكذب (١) .

(١) انظر كتاب مباحث في علوم القرآن للأستاذ مناع القطان : (٣١٣ - ٣١٤) وانظر مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني : (٤٨٤/١ - ٤٨٥) .

وقال ابن أبي الحواري عن يحيى بن معين : بالعراق كتاب ينبغي أن يدفن . وبالشام كتاب ينبغي أن يدفن . فأما الذي بالعراق فكتاب التفسير عن ابن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، وأما الذي بالشام فكتاب الديات لخالد بن يزيد بن أبي مالك . لم يرض أن يكذب على أبيه حتى كذب على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

ومن هذا العرض يتضح لك مقدار صحة هذا التفسير المنسوب إلى ابن عباس رضي الله عنه . ولذلك لم نعول فيما نقلنا من التفسير عن ابن عباس على هذا الكتاب . بل توخينا أن ننقل ذلك من أمهات مصادر الحديث والتفسير ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً ، وعزونا كل تفسير إلى المصدر المنقول منه .

نماذج مما نقل عنه من التفسير :

الواقع أنه قلما تمر آية في كتاب الله ، إلا ولا بن عباس تفسير لها ، يعلم هذا من له إلمام واطلاع على التفاسير ، وخاصة التفاسير التي تلتزم أن تفسر القرآن بالمأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن أحد من صحابته ، وكيف لا يكون لابن عباس في كل آية تفسير وقد مرّ بك آنفاً قول ابن أبي مليكة : رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ، ومعه ألواح ، فيقول له ابن عباس : اكتب . قال : حتى سأله عن التفسير كله . وقول مجاهد : عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته ، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها . ؟ لذلك كان من

(١) تهذيب التهذيب : ١٢٦/٣ - ١٢٧ .

العسير أن ننقل لك في هذه العجالة جميع ما روى عن ابن عباس في تفسير كتاب الله الكريم .

غير أن ذلك لا يعفينا من أن نذكر بعض ما روي عن ابن عباس في التفسير ، على سبيل التمثيل . لتكامل الدراسة عنه في هذا المضمار ، ولنتزم إن شاء الله ما نقل عنه نقلاً صحيحاً . سواء أكان ذلك في صحيح البخاري أو غيره من الكتب ، وإليك هذه النماذج .

١ - وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين :

عن عطاء سمع ابن عباس يقرأ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، قال ابن عباس : ليست بمنسوخة ، هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فليطعما مكان كل يوم مسكيناً « فمن شهد منكم الشهر فليصمه (١) » .

٢ - ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية ، فتأثموا أن يتجروا في الموسم ، فنزلت « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم » في مواسم الحج (٢) .

٣ - ثم افيضوا من حيث أفاض الناس :

عن ابن عباس قال : تطوّف الرجل بالبيت ما كان حلالاً حتى يهّل بالحج ، فإذا ركب إلى عرفة فمن تيسر له هديه من الأبل

(١) البخاري : ١٥٥/٥ .

(٢) البخاري : ١٥٨/٥ .

أو البقر أو الغنم ما تيسر له من ذلك أي ذلك شاء ، غير أن من لم يتيسر له فعله ثلاثة أيام في الحج . وذلك قبل يوم عرفة ، فإن كان آخر يوم من الأيام الثلاثة يوم عرفة فلا جناح عليه ، ثم لينطلق حتى يقف بعرفات من صلاة العصر الى أن يكون الظلام ، ثم ليدفعا من عرفات إذا أفاضوا منها حتى يبلغوا جمعا الذي يبيتون به ، ثم ليذكر الله كثيراً ، واكثروا التكبير والتهليل قبل أن تصبحوا ، ثم أفيضوا فإن الناس كانوا يفيضون ، وقال الله تعالى : « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم » حتى ترموا الجمرة (١) ، وفي حديث عائشة بيان لمعنى هذه الآية ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة ، وكانوا يسمون الحمّس ، وكان سائر العرب يقفون بعرفات . فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأتي عرفات ثم يقف بها . ثم يفيض منها ، فذلك قوله تعالى : « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس (٢) » .

٤ - يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى...

عن مجاهد قال : سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول : كان في بني إسرائيل القصاص ، ولم تكن فيهم الدية ، فقال الله تعالى لهذه الأمة : « كتب عليكم القصاص في القتلى الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى . فمن عفي له من أخيه شيء » فالعفو

(١) البخاري : ١٥٩/٥ . جمعا : المزدلفة .

(٢) البخاري : ١٥٨/٥ . الحمّس : جمع أحمس وهو الشديد الصلب . سموا بذلك لتصلبهم فيما كانوا عليه .

أن يقبل الدية في العمد ، « فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان »
يتبع بالمعروف ويؤدي بإحسان ، « ذلك تخفيف من ربكم ورحمة »
مما كتب على من كان قبلكم ، « فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب
اليم » قتل بعد قبول الدية (١) .

٥ - لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا . . . :

عن علقمة بن أبي وقاص أن مروان قال لبوابه : اذهب يارافع
الى ابن عباس فقل : لئن كان كل امرئ فرح بما أتى ، واحب أن
يحمد بما لم يفعل معذباً للنعدين أجمعون ، فقال ابن عباس : وما
لكم ولهذه ؟ إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن
شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره ، فأروه أن قد استحمدوا إليه
بما أخبروه عنه فيما سألهم ، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ، ثم
قرأ ابن عباس : وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب ، كذلك حتى
قوله : يفرحون بما أتوا ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا (٢) .

وورد عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت في شأن رجال من
المنافقين .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً من المنافقين
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان إذا خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف

(١) البخاري : ١٥٤/٥ .

(٢) البخاري : ١٧٤/٥ وتممة النص : أتوا الكتاب لتبيننه
للناس ولا تكتُمونه ، فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً
فبئس ما يشترُونَ . لا تحسبن الذين . . . آل عمران : (١٨٧-١٨٨) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا إليه، وحلفوا وأحبوا أن يحمدا بما لم يفعلوا، فنزلت : لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا (١) .

٦ - لا يحلّ لكم أن تراثوا النساء كرهاً :

عن ابن عباس قال : كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامراته ، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاؤوا زوجوها، وإن شاؤوا لم يزوجوها ، فهم أحق بها من أهلها ، فنزلت هذه الآية (٢) .

٧ - إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان :

قال ابن عباس : الأزلام : القداح يقتسمون بها في الأمور ، والنصب أنصاب يذبحون عليها (٣) .

٨ - الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين » شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم أن لا يفرّ واحد من عشرة ، فجاء التخفيف فقال : الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً ، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين . قال : فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم (٤) .

(١) البخاري : ١٧٤/٥

(٢) البخاري : ١٧٨/٥

(٣) البخاري : ١٨٩/٥

(٤) البخاري : ٢٠١/٥

٩ - ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً :

عن عطاء : سمع ابن عباس ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً ، قال : هم كفار أهل مكة (١) .

١٠ - كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين :

عن ابن عباس : كما أنزلنا على المقتسمين . قال : آمنوا ببعض وكفروا ببعض : اليهود والنصارى .

وعنه : الذين جعلوا القرآن عضين . قال : هم أهل الكتاب جَزَّؤوه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه (٢) .

١١ - وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس :

قال ابن عباس : هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به إلى بيت المقدس . قال : والشجرة الملعونة في القرآن : قال هي شجرة الزقوم (٣) .

١٢ - ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها :

عن ابن عباس في قوله تعالى : « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها » قال : نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختفٍ بمكة ، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ، ومن جاء به ، فقال الله لنبيه

(١) البخاري : ٢٢٠/٥ .

(٢) البخاري : ٢٢٢/٥ .

(٣) البخاري : ٢٢٧/٥ و ٢١٤/٧ .

صلى الله عليه وسلم : ولا تجهر بصلاتك أي بقراءتك . فيسمع
المشركون فيسبوا القرآن ، ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم ،
وابتغ بين ذلك سبيلاً (١) .

١٣ - ومن الناس من يعبد الله على حرف :

قال ابن عباس : كان الرجل يقدم المدينة ، فإن ولدت امرأته
غلاماً وتنجت خيله قال : هذا دين صالح ، وإن لم تلد امرأته ولم
تنج خيله قال : هذا دين سوء (٢) .

١٤ - وانذر عشيرتك الأقربين :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت « وانذر عشيرتك
الأقربين » سعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا ، فجعل
ينادي يا بني فهر ، يا بني عديّ ، لبطون قريش حتى اجتمعوا ،
فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو ،
فجاء أبو لهب وقريش ، فقال : أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي
تريد أن تغير عليكم ، أكنتم مصدقيّ ؟ قالوا : نعم ما جربنا عليك إلا
صدقاً ، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب :
تباً لك سائر اليوم أهذا جمعتنا ؟ فنزلت تبث يدا أبي لهب وتب .
ما أغنى عنه ماله وما كسب (٣) .

١٥ - إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد :

عن ابن عباس : لرادك إلى معاد : إلى مكة (٤) .

(١) البخاري : ٢٢٩/٥ .

(٢) البخاري : ٢٤٢/٥ .

(٣) البخاري : ١٦/٦ - ١٧ .

(٤) البخاري : ١٨/٦ .

١٦ - قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله :

عن ابن عباس رضي الله عنهما : ان ناساً من اهل الشرك كانوا قد قتلوا واكثروا ، وزنوا واكثروا ، فاتوا محمداً صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن ، لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة ، فنزل « والذين لا يدعون مع الله إلَهٌ آخر ولا يقتلون النفس التي حَرَّمَ الله إلا بالحق ولا يزنون » ونزل « قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله (١) » .

١٧ - فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون :

قال المنهال عن سعيد قال : قال رجل لابن عباس : إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ ، قال فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون . وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون . ولا يكتُمون الله حديثاً ، والله ربنا ما كنا مشركين . فقد كتموا في هذه الآية ، وقال : أم السماء بناها إلى قوله دحاها ، فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ، ثم قال : أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين إلى طائعين . فذكر في هذه خلق الأرض قبل السماء ، وقال تعالى : وكان الله غفوراً رحيماً ، عزيزاً حكيماً ، سميعاً بصيراً ، فكانه كان ثم مضى .

فقال : فلا أنساب بينهم في النفخة الاولى ، ثم ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون ، ثم في النفخة الآخرة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون .

وأما قوله : ما كنا مشركين ، ولا يكتُمون الله ، فإن الله يغفر

(١) البخاري : ٣٣/٦ . ومسلم : ٧٩/١ .

لأهل الإخلاص ذنوبهم ، وقال المشركون : تعالوا نقول لم تكن مشركين . فختم على أفواههم ، فتنتطق أيديهم ، فعند ذلك عرف أن الله لا يكتف حديثاً ، وعنده يود الذين كفروا . . الآية . وخلق الأرض في يومين . ثم خلق السماء ، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ، ثم دحا الأرض ، ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى ، وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينهما في يومين آخرين ، فذلك قوله دحاها وقوله خلق الأرض في يومين ، فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام ، وخلقت السموات في يومين . وكان الله غفوراً ، سمى نفسه ذلك ، وذلك قوله أي لم يزل كذلك ، فإن الله لم يرد شيئاً إلا أصاب به الذي أراده فلا يختلف عليك القرآن ، فإن كلا من عند الله (١) .

١٨ - ادفع بالتّي أحسن :

قال ابن عباس : بالتّي هي أحسن : الصبر عند الغضب والعفو عند الإساءة . فإذا فعلوه عصمهم الله وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم (٢) .

١٩ - إلا المودة في القربى :

قال طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنه سئل عن قوله : إلا المودة في القربى ، فقال سعيد بن جبیر : قربي آل محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن عباس : عجبت ، إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيه قرابة ، فقال : إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة (٣) .

(١) البخاري : ٣٥/٦ - ٣٦ .

(٢) البخاري : ٣٦/٦ .

(٣) البخاري : ٣٧/٦ .

٢٠ - سيهزم الجمع ويولون الدبر :

عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال - وهو في قبة له يوم بدر - : انشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً ، فأخذ أبو بكر بيده وقال : حسبك يا رسول الله فقد الححت على ربك - وهو في الدرع - فخرج وهو يقول : سيهزم الجمع ويولون الدبر . بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر (١) .

٢١ - لا تذرنا ودّاً ولا سواعاً ولا يفوث ويعوق ونسراً :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد ، أما ودّ كانت لكلب بدومة الجندل ، وأما سواع كانت لهذيل ، وأما يفوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع ، أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون انصباً ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبِدَت (٢) .

٢٢ - قل أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن :

عن ابن عباس قال : انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين فقالوا : ما لكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب ،

(١) البخاري : ٥٤/٦ .

(٢) البخاري : ٧٣/٦ .

قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث ، فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء ، قال : فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة ، وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له فقالوا : هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا : إنا سمعنا قرآناً عجباً . يهدي إلى الرشd فأمنّا به ولن نشرك بربنا أحداً . وانزل الله عزّ وجلّ على نبيه صلى الله عليه وسلم : قل أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن ، وإنما أوحى إليه قول الجن (١) .

٢٣ - إن علينا جمعه وقرآنه :

قال ابن عباس : كان - أي النبي صلى الله عليه وسلم - يحرك شفّيته إذا أنزل عليه ، فقليل له : لا تحرك به لسانك ، يخشى أن يتقلت منه ، إن علينا جمعه وقرآنه أن نجمعه في صدرك ، وقرآنه أن تقرّاه ، فإذا قرأناه يقول : أنزل عليه ، فاتبع قرآنه . ثم إن علينا بيانه : أن نبينه على لسانك . وفي رواية : فكان إذا أتاه جبريل أطرق ، فإذا ذهب قرّاه كما وعده الله (٢) .

٢٤ - لتركن طبقاً عن طبق :

قال ابن عباس : لتركن طبقاً عن طبق : حالاً بعد حال . قال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم (٣) .

(١) البخاري : ٧٣/٦ - ٧٤ .

(٢) البخاري : ٧٦/٦ - ٧٧ .

(٣) البخاري : ٨١/٦ .

٢٥ - إنا أعطيناك الكوثر :

حدث أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر : هو الخير الذي أعطاه الله إياه . قال أبو بشر لسعيد بن جبير : فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة ، فقال سعيد : النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه (١) .

٢٦ - الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم :

قال ابن عباس : ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله كتب على ابن آدم حظاً من الزنى ، أدرك ذلك لا محالة : فزنى العين النظر ، وزنى اللسان المنطق ، والنفس تمنى وتشتهي ، والفرج يصدق ذلك ويكذبه (٢) . يقصد ابن عباس أن النظر والنطق من اللمم المعفو عنه المستثنى في كتاب الله .

٢٧ - ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت أيمانكم :

عن ابن عباس : ولكل جعلنا موالى قال : ورثة . والذين عقدت أيمانكم قال : كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصاري دون ذوي رحمه ، للأخوة التي آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم ، فلما نزلت : ولكل جعلنا موالى نسخت ، ثم قال : والذين عقدت أيمانكم إلا النصر والرفادة والنصيحة ، وقد ذهب الميراث ويوصي له (٣) .

(١) البخاري : ٩٣/٦ .

(٢) البخاري : ٢١٤/٧ .

(٣) البخاري : ٥٧/٣ .

٢٨ - وإذا حضر القسمة اولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه :

قال ابن عباس : إن ناساً يزعمون أن هذه الآية نسخت ، ولا والله ما نسخت ، ولكنها مما تهاون به الناس ، هما واليان : وال يرث وذلك الذي يرزق ، وال لا يرث فذلك الذي يقول بالمعروف ، يقول : لا أملك لك أن أعطيك (١) .

وقد كان ابن عباس يرى أن من لم يستحق إرثاً وحضر القسمة ، وكان من الأقارب أو اليتامى أو الفقراء ، على الورثة أن يكرمهم ولا يحرمهم ، ولو كان العطاء قليلاً ، وهذا هو الأصح عنه . وكان يقول : أمر الله المؤمنين عند قسمة موارثهم أن يصلوا أرحامهم ويتاماهم ومساكينهم من الوصية ، فإن لم تكن وصية وصل لهم من الميراث (٢) .

٢٩ - كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية :

قال ابن عباس : كان المال للولد ، وكانت الوصية للوالدين ، فنسخ الله من ذلك ما أحب ، فجعل للذكر مثل حظ الانثيين ، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس والثالث ، وجعل للمرأة الثمن والربع وللزوج الشطر والربع (٣) .

(١) البخاري : ١٩٣/٣ .

(٢) انظر تفسير القرطبي : ٤٩/٥ .

(٣) البخاري : ١٨٨/٣ و ١٧٨/٥ .

٣٠ - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم :

قال ابن عباس رضي الله عنهما : قعد أبو بكر على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم سمي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم مدّ يديه ثم وضعهما على المجلس الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عليه من منبره ، ثم قال : سمعت الحبيب وهو جالس على هذا المجلس يتأول هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » ثم فسرهما ، فكان تفسيره لنا أن قال : نعم ليس من قوم عمل فيهم بمنكر ، ويفسد فيهم بقبيح فلم يغيروه ولم ينكروه إلا حق على الله أن يعمهم بالعقوبة جميعاً ثم لا يستجاب لهم ، ثم أدخل أصبعيه في أذنيه فقال : أن لا أكون سمعته من الحبيب فضمتا » (١) .

وقد روى الترمذي هذا الحديث عن غير ابن عباس وبغير هذا الشكل .

ففي الترمذي عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : « أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الناس إذا راوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب منه » (٢) .

ورواه أيضاً عن قيس أبو داود إلا أنه قال في أوله : قال أبو بكر بعد أن حمد الله وأثنى عليه : يا أيها الناس ، إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير مواضعها ... (٣) » .

(١) حياة الصحابة : ٢٩٠/٣ .

(٢) الترمذي رقم (٢١٢٩) ورقم (٣٠٥٩) .

(٣) أبو داود في كتاب الملاحم : ٤٣٦/٢ .

٣١ - « قل كونوا حجارة او حديداً او خلقاً مما يكبر في صدوركم » :

قال ابن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سأله عن قول الله تعالى : « او خلقاً مما يكبر في صدوركم » ما الذي اراد الله به فقال : الموت (١) .

وقال القرطبي في معنى الآية بعد ان نقل كلام ابن عباس وغيره : إنكم لو خلقتهم من حجارة او حديد او كنتم الموت لأميتنكم ولا بعثنكم لأن القدرة التي بها انشأتكم بها نعيدكم . ثم قال : وفي الحديث : يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار (٢) .

٣٢ - « وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة » :

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تقول : إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنما يعذب الله الناس في النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً في النار من أيام الآخرة ، وإنما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب . فانزل الله في ذلك من قوله : « وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة . قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون . بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته » أي من عمل بمثل أعمالكم وكفر بمثل ما كفرتم به يحيط كفره بما له عند الله من حسنة « فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » أي خلد أبداً (٣) .

(١) سيرة ابن هشام : ٣١٧/١ .

(٢) القرطبي : ٢٧٤/١٠ .

(٣) سيرة ابن هشام : ٥٣٨/١ - ٥٣٩ وانظر تفسير القرطبي

٣٣ - والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً :

كان ابن عباس يفسر لا يشهدون الزور بمشاهدة أعياد المشركين .
ففي الكامل للمبرد : يروى عن ابن عباس في هذه الآية : « والذين لا يشهدون الزور . . . » قال : أعياد المشركين . وقال ابن مسعود : الزور الفناء . ف قيل لابن عباس : أو ما هذا في الشهادة بالزور ؟ فقال : لا ، إنما آية شهادة الزور « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً (١) . »

٣٤ - ولا منهم فليغيرن خلق الله :

قال ابن عباس رضي الله عنه : هو الخصاص (٢) .

٣٥ - تفسير لبعض آيات القرآن :

قال المبرد : كان نافع بن الأزرق ينتجع عبد الله بن عباس فيسأله فله عنه مسائل من القرآن وغيره ، وقد رجع إليه في تفسيرها فقبله وانتحله ، ثم غلبت عليه الشقوة ، ونحن ذاكرون منها صدراً إن شاء الله .

حدث أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي النسابة عن اسامة ابن زيد عن عكرمة قال : رأيت عبد الله بن العباس وعنده نافع بن الأزرق وهو يسأله ويطلب منه الاحتجاج باللفة ، فسأله عن قول الله جل ثناؤه : « والليل وما وسق » فقال ابن عباس : وما جمع . فقال : أعرف ذلك العرب ؟ قال ابن عباس : أما سمعت قول الراجز :
إن لنا قلائصاً حقائقاً
مستوسقات لو يجدن سائقاً

(١) شرح الكامل للمرصفي : ١٨٦/٧ وانظر القرطبي ٢٥٧/١٠ .
و ٧٩/١٣ .

(٢) الحيوان للجاحظ : ١٨٠/١ . وانظر تفسير القرطبي :
٣٨٩/٥ .

هذا قول ابن عباس وهو الحق الذي لا يقدح فيه قادح ،
يقال : استوسق القوم إذا اجتمعوا .

وسأله عن قوله عز وجل : « قد جعل ربك تحتك سرياً »
فقال ابن عباس : هو الجدول . فسأله عن الشاهد فأنشده :
سلما ترى الدالج منها ازورا إذا يعج في السري هرها

٣٦ - تفسير قوله : كونوا ربانيين :

قال ابن عباس : كونوا ربانيين حلماء فقهاء علماء يقال : الرباني
الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره (١) .

وسأله أيضاً عن قوله تعالى : « عتل بعد ذلك زنيم » ما
الزنيم ؟ قال : هو الدّعي الملقق ، أما سمعت قول حسان بن ثابت :
زنيم تداعاه الرجال زيادة كمازيدني عرض الأديم الأكارع
وسأله أيضاً عن قوله تعالى : « والتفت الساق بالساق »
قال : الشدة بالشدة . فسأله عن الشاهد فأنشده :

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها

وإن شمرت عن ساقها الحرب شمراً

وسأله عن قوله تعالى : « فلهم أجر غير ممنون » قال ابن
عباس : غير مقطوع . فقال هل تعرف ذلك العرب ؟ فقال قد عرفه
أخو بني يشكر حيث يقول :

وترى خلفهن من سرعة الرجع منياً كأنه أهباء (٢) .

وبعد فهذا أيضاً قليل بل أقل من القليل من تفسير ابن عباس
للقرآن الكريم انتقيتها من مراجع متعددة ، والشيء الذي رأيته في
كتب التفسير بالمأثور أنه قلما تمرّ آية إلا ولابن عباس فيها قول ،
فحق أن يدعى « ترجمان القرآن » .

(١) البخاري : ٢٥/١ .

(٢) المبرد : ١٥٦/٧ - ١٥٩ .

ابن عباس والحديث

لقد مرَّ بك أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قد برع في جوانب كثيرة من اصناف العلوم والمعرفة ، ولكن كان أكثر اشتهاً في ثلاثة علوم هي الفقه والتفسير والحديث .

ولقد تحدثنا فيما مضى عن ناحيتيه الفقهية والتفسيرية ، وفيما يلي : نتحدث عن الجانب الحديثي فيه .

كراهته الإكثار من الحديث :

مما لا شك فيه أن ابن عباس كان من المحدثين البارزين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنه على الرغم من ذلك كان يكره الإكثار من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان لا يقبل حديثاً إلا بعد تثبت .

روى هشام بن حجر عن طاووس قال : جاء هذا إلى ابن عباس - يعني بشير بن كعب - فجعل يحدثه ، فقال له ابن عباس : عد لحديث كذا وكذا ، فعاد له ثم حدثه ، فقال له : عد لحديث كذا وكذا ، فعاد له فقال : ما أدري أعرفت حديثي كله وانكرت هذا ، أم أنكرت حديثي كله وعرفت هذا ، فقال له ابن عباس : إنا كنا نحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن يكذب عليه ، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه .

وعن مجاهد قال : جاء بشير العدوي إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه ، فقال : يا ابن عباس مالي لا أراك تسمع لحديثي ؟! أحدثك

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع ! فقال ابن عباس :
إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابتدرته ابصارنا وأصفيانا إليه بأذاننا ، فلما ركب الناس
الصعب والذل لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف (١) .

ولقد كان في هذا الاتجاه ينحو نحو عمر بن الخطاب ويسير على
سننه ويتقفى أثره ، فلقد كان عمر يكره الإكثار من الحديث ، وينهى
الناس عن الإكثار من رواية الحديث ، حتى إنه قد حبس بعض
المكثرين ، وذلك أنه كان يخشى من شيوع الرواية أن يكذب على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يصددهم التحديث عن القرآن .

على أن عمر رضي الله عنه قد هم بتدوين السنة ، إلا أنه بعد
التروي والتشاور رجع عن ذلك خشية أن يؤدي ذلك إلى الانصراف
عن كتاب الله إليها .

قال السيوطي في تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك :
أخرج الهروي في ذم الكلام من طريق الزهري قال : أخبرني عروة
ابن الزبير أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن واستشار
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشار عليه عامتهم بذلك ،
فلبث شهراً يستخير الله في ذلك شاكاً فيه ، ثم أصبح يوماً وقد
عزم الله له فقال : إني كنت ذكرت لكم من كتابة السنن ما قد
علمتم ، ثم تذكرت فإذا أناس من أهل الكتاب من قبلكم قد كتبوا
مع كتاب الله كتباً ، فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، وإني والله لا
أبس كتاب الله بشيء ، فترك كتابة السنن .

(١) صحيح مسلم ١/١٠ . ركب الناس الصعب والذل : سلك
الناس كل مسلك لما يحمد ويذم . لا يأذن لحديثه : لا يستمع لحديثه .

عدد مارواه من الأحاديث :

لقد كان ابن عباس مع حرصه على الإقلال من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعدّ من الستة الكثيرين في الحديث ، والخمسة الباقيون هم : أبو هريرة ، وجابر بن عبد الله الأنصاري ، وعبد الله بن عمر ، وأنس بن مالك ، وعائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهم .

ولقد بلغ مجموع ما رواه ابن عباس (١٦٦٠) ستون وستمئة ألف حديث ، اتفق البخاري ومسلم على خمسة وتسعين حديثاً ، وانفرد البخاري بمائة وعشرين حديثاً ، وانفرد مسلم بتسعة وأربعين حديثاً (١) ، وبقية الأحاديث في كتب الحديث الأخرى .

وفي الرياض المستطابة ليحيى بن أبي بكر العامري : روى عبد الله ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثر ، فأخرج له الشيخان مائتين وأربعة وثلاثين حديثاً ، اتفقا على خمسة وسبعين ، وانفرد البخاري بمائة وعشرة ، ومسلم بتسعة وأربعين ، وخرج عنه أصحاب المسانيد والسنن كلهم (٢) .

من أين له كل هذا الحديث :

لقد مرّ بك أن ابن عباس هاجر مع أمه عام الفتح ، وقد كانت غزوة الفتح عام ثمانية ، فلم يصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حوالي ثلاثين شهراً ، وهنا يتساءل المرء من أين أتى بكل هذه الأحاديث ؟

(١) شرح رياض الصالحين لابن علان : ٧٣/١ .

(٢) الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة / ١٩٩ .

إن الناظر في الأحاديث التي رواها ابن عباس ليرى أنها تنقسم إلى أربعة أقسام :

أحدها : أحاديث سمعها من رسول الله بنفسه وقد صرح بأنه قد سمعها منه .

ثانيها : أحاديث يقطع الباحث أنه لم يسمعها من الرسول عليه الصلاة والسلام ، إلا أن ابن عباس يذكر من رواها عنه من الصحابة رضوان الله عليهم .

ثالثها : أحاديث يقطع الباحث أنه لم يسمعها من الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولكن ابن عباس يسندها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يذكر الصحابي المروي عنه .

رابعها : أحاديث يرويها ابن عباس ، ومن المحتمل أن يكون قد سمعها من الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومن المحتمل أيضاً أنه لم يسمعها ، ولم يبين ابن عباس شيئاً من ذلك .

ونحن فيما يلي نورد لك نماذج من كل قسم من هذه الأقسام الأربعة :

القسم الأول : ما رواه وصرح بسماعه من الرسول عليه الصلاة والسلام :

١ - عن عبد الرحمن بن عباس قال : سمعت ابن عباس قيل له : أشهدت العيد مع النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم ، ولولا مكاني من الصفر ما شهادته ، خرج حتى أتى العُلم الذي عند دار كثير بن الصلت ، فصلى ثم خطب ، ثم أتى النساء ومعه بلال ،

فوعظهن وذكرهن وامرهن بالصدقة ، فرايتهن يهوين بأيديهن
يقذفنه في ثوب بلال ، ثم انطلق هو وبلال إلى بيته (١) .

٢ - عن أبي معبد قال : سمعت ابن عباس يقول : سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يقول : لا يخلون رجل بامرأة إلا
ومعها ذو محرم ، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم ، فقام رجل
فقال : يا رسول الله ، إن امرأتي خرجت حاجة ، وإني اكتتبت في
غزوة كذا وكذا ، قال : انطلق فحج مع امرأتك (٢) .

٣ - عن ابن عباس قال : خرج علينا النبي صلى الله عليه
وسلم يوماً فقال : عرضت عليّ الأمم فجعل يمرّ النبي معه الرجل ،
والنبي معه الرجلان ، والنبي معه الرهط ، والنبي ليس معه أحد ،
ورأيت سواداً كثيراً سدّ الأفق ، فرجوت أن تكون أمتي ، فقليل
هذا موسى وقومه ، ثم قيل لي انظر ، فرأيت سواداً كثيراً سدّ
الأفق ، فقليل لي انظر هكذا وهكذا ، فرأيت سواداً كثيراً سدّ الأفق
فقليل هؤلاء أمّتك ، ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة
بغير حساب . فتفرق الناس ولم يبين لهم ، فتذاكر أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم فقالوا : أما نحن فولدنا في الشرك ، ولكننا آمنا
بالله ورسوله ، ولكن هؤلاء هم أبناؤنا ، فبلغ النبي صلى الله عليه
وسلم فقال : هم الذين لا يتطيرون ولا يكتوون ولا يسترقون
وعلى ربهم يتوكلون . فقام عكاشة بن محصن فقال : أمنهم أنا
يا رسول الله ؟ قال : نعم ، فقام آخر فقال : أمنهم أنا ؟ سبقك

(١) البخاري : ٨/٢ . قوله : ولولا مكاني من الصفر ماشهده :
أي لولا مكاني منه عليه الصلاة والسلام ما حضرته لأجل صفر سني .
(٢) مسلم : ١٠٤/٤ .

بها عكاشة(١) . فقولہ : خرج علينا صريح بأن ابن عباس كان حاضراً
هذه الحادثة .

٤ - عن ابن عباس قال : قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم
يخطب فقال : إنكم محشورون حفاة عراة « كما بدأنا أول خلق
نعیده ... » الآية وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم ،
وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول :
يارب اصحابي، فيقول الله : إنك لاتدري ما احدثوا بعدك ، فأقول
كما قال العبد الصالح : (وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ...
إلى قوله الحكيم) قال: فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم(٢).

٥ - عن ابن عباس قال : كنت خلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوماً فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك،
احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت
فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم
ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء
لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الاقلام وجفت
الصحف(٣) .

وقد روى الإمام أحمد هذا الحديث بصيغة أخرى هي : عن
ابن عباس قال : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

(١) البخاري : ٢٦/٧ .

(٢) البخاري : ١٩٧/٧ .

(٣) رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح ٢٠٣/٧

رقم ٢٥١٨ وراه أحمد في مسنده رقم ٢٦٦٩ .

يا غلام أو يا غليم ، إلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟ فقلت : بلى ، فقال : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، تعرّف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استمعت فاستمع بالله ، قد جف القلم بما هو كائن ، فلو أن الخلق كلهم جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدرُوا عليه ، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدرُوا عليه ، وأعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً (١) .

٦ - قال ابن جريج : قلت لعطاء : أيّ حين أحبّ إليك أن أصلي العشاء ، إماماً أو خلوّاً ؟ قال : سمعت ابن عباس يقول : أتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بالعشاء ، حتى رقد الناس واستيقظوا ، ورقدوا واستيقظوا ، فقام عمر بن الخطاب فقال : الصلاة ، قال عطاء : قال ابن عباس : فخرج نبي الله صلى الله عليه وسلم كأنني أنظر إليه الآن يقطر رأسه ماءً ، واضع يده على شق رأسه ، فقال : لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم أن يصلوها كذلك (٢) .

وبعد فهذه جملة من الأحاديث قد نصّ ابن عباس رضي الله عنه أنه قد سمعها من الرسول عليه الصلاة والسلام مباشرة من غير ذكر واسطة .

-
- (١) رواه الإمام أحمد في مسنده رقم (٢٨٠٤) .
 (٢) رواه الإمام أحمد في مسنده رقم (٣٤٦٦) وهو في صحيح البخاري : ١٤٣/١ .

عدد الأحاديث التي رواها مباشرة :

وبعد فكم هي عدة الأحاديث التي نقل عن ابن عباس أنه سمعها مباشرة من الرسول عليه الصلاة والسلام ؟ لقد اختلفت اقوال العلماء في ذلك ، ونحن هنا ننقل لك ما ذكر في الرياض المستطابة نقلا عن ابن حجر قال :

فائدة : روي عن غندر أن ابن عباس لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم إلا تسعة أحاديث ، وعن يحيى القطان عشرة ، وقال الغزالي في المستصفي : أربعة ، وفيه نظر ، ففي الصحيحين عن ابن عباس مما صرح فيه بسماعه من النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من عشرة ، وفيهما مما يشهد فعله نحو من ذلك ، وفيهما مما له حكم الصريح نحو ذلك فضلا عما ليس في الصحيحين (١) .

رواية ما تحمله الصحابي وهو صغير :

مما لا شك فيه أن بعض الأحاديث التي رواها ابن عباس رضي الله عنه كان قد سمعها أو شاهدها قبل سن البلوغ ، إذ قد علمت أن سنه رضي الله عنه كانت عند وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام حوالي ثلاث عشرة سنة ، وهنا يتساءل الإنسان هل يقبل من الراوي بعد البلوغ ما تحمله أو رآه قبل البلوغ حين لم يكن آنذاك في سن التكليف ؟

لقد قسم علماء مصطلح الحديث الأهلية إلى قسمين : أهلية اداء وأهلية تحمّل .

(١) الرياض المستطابة ٢٠٠، وانظر فتح الباري (باب الحشر) .

أما أهلية الأداء فاشتروا فيها أن يكون الراوي بالغاً عاقلاً مسلماً عدلاً ضابطاً (١) .

أما أهلية التحمل فالذي عليه جمهور المحدثين أنه لا يشترط فيه البلوغ والاسلام والعدالة .

بل قبلوا تحمّل الصبي والفاسق والكافر إذا روى ما تحمله بعد البلوغ والعدالة والإسلام وحجتهم في الصبي أن جمهور المسلمين كانوا يقبلون رواية أحداث الصحابة كالحسن والحسين وعبد الله ابن الزبير والنعمان بن بشير وابن عباس وغيرهم من صفار الصحابة، دون أن يفرقوا بين ما تحملوه بعد البلوغ وما تحملوه قبل ذلك .

وحجتهم في الكافر حديث جبر بن مطعم في الصحيحين أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ المغرب بالطور ، وكان جاء المدينة قبل أن يسلم في شأن فداء أسرى بدر ، وفي رواية البخاري : « وذلك أول ما قرأ الإيمان في قلبي » .

وأما الفاسق فقاوه على الكافر من باب أولى .

السن الذي يقبل فيها تحمّل الصبي :

ولكن علماء المصطلح اختلفوا في السن التي فيها التحمل ويقبل ، فذهب فريق من العلماء إلى أنه خمس سنوات فما فوق .

قال القاضي عياض رحمه الله : إن أهل الصنعة حدّثوا أول زمن يصح فيه للصبي السماع هو خمس سنين ، وقال ابن الصلاح : وعلى هذا استقر العمل بين أهل الحديث . وحجة هؤلاء ما رواه

(١) انظر الباعث الحثيث : ١٠١ فما بعدها .

البخاري وغيره من حديث محمود بن الربيع قال :عقلت من النبي صلى الله عليه وسلم مجة مجها في وجهي من دلو وأنا ابن خمس سنين (١) وقد بوّ ب البخاري رحمه الله على هذا فقال : باب متى يصح سماع الصغير .

وذهب فريق آخر إلى أنه لا يحدد لذلك سن معينة، بل يربط ذلك بالتمييز ، فإذا فهم الصغير الخطاب ، وردّ الجواب كان مميزاً صحيح السماع ، ولو كانت سنه أدنى من خمس سنين .

القسم الثاني :

احاديث يقطع الباحث أنه لم يسمعها من الرسول عليه الصلاة والسلام ، إلا أن ابن عباس يذكر من رواها عنه من الصحابة رضوان الله عليهم . ومن خلال هذه الاحاديث ندرك شيوخي في الحديث الذين كان يروي عنهم .

١ - عن ابن عباس قال : سمعت ابا طلحة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة تماثيل (٢) » .

٢ - عن ابن عباس عن الصعب بن جثامة رضي الله عنهم قال : « مرّ بي النبي صلى الله عليه وسلم بالأبواء أو بودّان، وسئل عن اهل الدار يبيتون من المشركين ، فيصاب من نسائهم وذرائعهم؟

(١) انظر الباعث الحثيث : ١٢٠ فما بعدها وانظر في هذا البحث تقريب النووي وشرحه تدريب الراوي .
(٢) البخاري : ٨٢/٤ .

قال : هم منهم . وسمعتة يقول : لا حمى إلا لله ورسوله صلى الله عليه وسلم (١) » .

٣ - عن ابن عباس قال : سمعت عمر رضي الله عنه يقول : قاتل الله فلاناً ألم يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها (٢) » .

٤ - عن ابن عباس قال : سمعت غير واحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عمر بن الخطاب - وكان أحبهم إليّ - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس ، وبعد العصر حتى تغرب (٢) » .

٥ - عن ابن عباس عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أدرك من العصر ركعة قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك ، ومن أدرك من الفجر ركعة قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك (٤) » .

٦ - عن ابن عباس قال : حدثني عمر بن الخطاب قال : « لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ،

(١) البخاري : ٢٠/٤ . الأبواء : قرية بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً . ودان : بالفتح موضع بين مكة والمدينة . يبيتون : يغار عليهم بالليل .

(٢) البخاري : ١٤٥/٤ قاتل الله فلاناً : هو سمرة بن جندب باع خمراً أخذه من أهل الكتاب عن قيمة الجزية فباعه منهم . وانظر تنمة هذا البحث في فتح الباري : ٢٨١/٤ . جملوها : أذابوها .

(٣) مسلم : ٢٠٧/٢ .

(٤) مسلم : ١٠٣/٢ .

فقالوا : فلان شهيد ، فلان شهيد ، حتى مروا على رجل فقالوا :
فلان شهيد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا إني رأيته
في النار في بردة غلّها أو عباءة . ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : يا ابن الخطاب ، اذهب فنناد في الناس : إنه لا يدخل الجنة
إلا المؤمنون .

قال : فخرجت فناديت : « ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون (١) »

القسم الثالث :

احاديث يقطع الباحث أنه لم يسمعها من الرسول عليه الصلاة
والسلام . ولكن ابن عباس يسندها إلى النبي صلى الله عليه وسلم
ولا يذكر الصحابي المروي عنه :

١ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت « وأنذر
عشيرتك الأقربين (٢) » جعل النبي صلى الله عليه وسلم ينادي
يابني فهر ، يابني عدي ، ببطون قريش « ومعلوم أن هذه الحادثة
كانت في بدء الدعوة في مكة ، وابن عباس لم يكن قد ولد آنذاك .
ولكنه لا بدّ أن يكون قد سمعها من غيره من الصحابة فرواها .

٢ - عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال - وهو في قبة يوم بدر - : « اللهم إني أنشدك
عهديك ووعدك ، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم . فأخذ أبو بكر بيده
فقال : حسبك يا رسول الله ، ألححت على ربك ، وهو يثب في
الدرع . فخرج وهو يقول : « سيهزم الجعع ويولتون الذبر (٣) »

(١) مسلم : ٧٥/١ . غلّها : أخذها خيانة من المغنم قبل أن يقسم .

(٢) البخاري : ١٦١/٤ .

(٣) البخاري : ٥٤/٦ .

٣ - عن ابن عباس قال : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه ، وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم ، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً ، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه ، وشقَّ وجهه كضربة السوط ، فاخضرَّ ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة ، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين (١) . ومعلوم أن حادثة بدر لم يكن فيها ابن عباس قطعاً ، ولقد كان عمره آنذاك حوالي خمس سنوات ، ولم يكن قد هاجر بعد .

٤ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مشى معهم - أي محمد بن مسلمة وأربعة من قومه - إلى بقيع الغرقد حين وجههم لقتل كعب بن الأشرف اليهودي ثم قال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم (٢) . ومعلوم أن قتل كعب بن الأشرف كان في السنة الثالثة للهجرة من بعد غزوة بدر .

٥ - عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رجلاً من المشركين قتل يوم الأحزاب ، فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن ابعث إلينا بجسده ، ونعطيهم اثني عشر ألفاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا خير في جسده ولا في ثمنه (٣) ومعلوم أن غزوة الأحزاب كانت في السنة الخامسة أو الرابعة ، ولم يكن ابن عباس قد هاجر بعد .

وهذا النوع من الأحاديث يسمى بمرسل الصحابي ، وفيما يلي نتحدث عن ذلك .

(١) مسلم : ١٥٧/٥ .

(٢) حياة الصحابة : ٦٥/٢ .

(٣) حياة الصحابة : ٤٥٦/٢ .

قبول مرسل الصحابي :

المرسل : هو ما سقط منه الوسطة بين الراوي وبين الرسول صلى الله عليه وسلم سواء اكان الراوي تابعياً أو صحابياً ، وبعضهم يخصه بما رواه التابعي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسقطاً الوسطة بينه وبين الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقد عرفه ابن الحاجب بقوله : قول غير الصحابي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد اختلف العلماء في قبول مرسل غير الصحابي، فذهب الإمام أبو حنيفة والإمام مالك وحكي أيضاً عن الإمام أحمد إلى أن المرسل يحتاج به واستدلوا على ذلك بأدلة مبسطة في كتب أصول الفقه .
وأما الإمام الشافعي فقد كان يقبل المرسل بشروط ذكرها في كتابه « الرسالة » .

وأما مرسل الصحابي - وهو ما رواه الصحابي مسقطاً الوسطة بينه وبين الرسول - فقد ذهب جمهور العلماء إلى قبوله .

قال ابن الصلاح: وأما مراسيل الصحابة، كابن عباس وأمثاله ففي حكم الموصول ، لأنهم يروون عن الصحابة ، وكلهم عدول فجهالتهم لا تضر . والله أعلم .

وقال ابن الحنبلي في قفو الأثر : والمختار في التفصيل قبول مرسل الصحابي إجماعاً .

وقال ابن كثير : قلت : وقد حكى بعضهم الإجماع على قبول مراسيل الصحابة ، وذكر ابن الأثير وغيره في ذلك خلافاً ، ويحكي هذا المذهب عن الأستاذ أبي إسحاق الاسفراييني ، لاحتمال تلقيهم عن بعض التابعين .

وقال السيوطي في تدريب الراوي : « وفي الصحيحين من ذلك ما لا يحصى - يعني من مراسيل الصحابة - لأن أكثر رواياتهم عن

الصحابة ، وكلهم عدول ورواياتهم عن غيرهم نادرة ، وإذا رووها بينها ، بل أكثر ما رواه الصحابة عن التابعين ليس أحاديث مرفوعة ، بل إسرائيليّات ، أو حكايات أو موقوفات .

وما ذكره السيوطي رحمه الله تعالى هو الحق الذي لا محيد عنه ، فلقد كان أصحاب رسول الله جميعهم يقبلون مراسيل ابن عمر وأبي هريرة وغيرهم ولا يسألونهم من أين أتيت بهذا ، مع علمهم أنهم لم يسمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روي عن البراء بن عازب رضي الله عنهما أنه قال : ما كل مانحدثكم به سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن سمعنا بعضه وحدثنا أصحابنا ببعضه (١) .

القسم الرابع :

أحاديث يرويها ابن عباس ومن المحتمل أن يكون قد سمعها من الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومن المحتمل أيضاً أن لا يكون قد سمعها منه ، ولم يبين ابن عباس شيئاً من ذلك .

١ - عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب : « لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم » (٢) فهنا لم يصرح ابن عباس بأنه سمع ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم ، كما لم يصرح بخلاف ذلك .

-
- (١) انظر في هذا البحث (الباعث الحثيث) لابن كثير وكتاب (قواعد في علوم الحديث) لظفر أحمد التهانوي : ١٤٠ - ١٤١ .
- (٢) حياة الصحابة : ١٥١/٤ وقال : أخرجه الشيخان .

٢ - عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يرحم الله أم إسماعيل لولا أنها عجلت لكان زمزم عينا معيناً (١) » وهنا أيضاً لم يصرح ابن عباس بالسماع .

٣ - عن أبي جمرة قال : كنت أترجم بين ابن عباس وبين الناس فقال : إن وفد عبد القيس أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال : من الوفد أو من القوم ؟ قالوا : ربيعة ، فقال : مرحباً بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى . قالوا : إننا نأتيك من شقة بعيدة ، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر ، ولا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام فمرنا بأمر نخبر به من وراءنا ندخل به الجنة ، فأمرهم بأربع ، ونهاهم عن أربع : أمرهم بالإيمان بالله عز وجل وحده قال : هل تدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وتعطوا الخمس من المقنم . ونهاهم عن الدباء والحنتم ، والمزفت ، قال شعبة ، ربما قال : النقيير وربما قال : المقير . قال : احفظوه وأخبروه من وراءكم (٢) » وقد كانت الوفود تأتي إلى الرسول عليه الصلاة والسلام بعد الفتح في السنة التاسعة أو العاشرة ، ولقد كان ابن عباس قد هاجر ، ولكنه لم يذكر أنه قد كان حاضراً مع الرسول عندما قدم عليه الوفد .

(١) البخاري : ١١٣/٤ .

(٢) البخاري : ٣٠/١ . الدباء : القرع . الحنتم : جرار مدهونة بدهان أخضر . النقيير : أصل النخلة ينقر . المزفت : ما طلي بالزفت . المقير : ما طلي بالقار وهو الزفت والمراد من ذلك النهي عن الانتباز في هذه الأواني ، ثم نسخ ولم يحرم إلا ما أسكر من النبيذ .

٤ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا عاد المريض جلس عند رأسه ثم قال سبع مرار : « أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك » فإن كان في أجله تأخير عوفي من وجعه (١) .

ابن عباس والمعراج المنسوب إليه :

في الأسواق كتاب يتداوله العوام من الناس ويقرؤونه ليلة السابع والعشرين من شهر رجب ليلة ذكرى معراج النبي محمد عليه الصلاة والسلام .

هذا الكتاب يسمى « معراج ابن عباس » يرى الجهلة أنه من تأليف ابن عباس يصور لنا فيه كيف عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم .

إن حادثة معراج النبي صلى الله عليه وسلم هي حادثة واقعية ثبت وقوعها في كتب السنة الصحيحة ، وقد عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السموات العلا بجسده وروحه وعلى هذا إجماع من يحتج بإجماعه من المسلمين .

ولكن هل هذا المسمى بمعراج ابن عباس هو صحيح النسبة إليه ، وهل ما وجد في هذا المعراج من وصف لمعراج النبي صلى الله عليه وسلم صحيح أيضاً .

لكي نجيب على ذلك لابد من الرجوع إلى المنهج العلمي في الإسلام، ذلك المنهج الذي يتعرف به إلى ما هو صحيح وثابت في الدين وما ليس كذلك .

(١) حياة الصحابة : ٩٢/٣ .

يقول هذا المنهج : لكي نثبت نصاً شرعياً من السنة لا بدّ من التحقق من امرين : أحدهما صحة السند وثانيهما صحة المتن .

والسند هو سلسلة الأشخاص الذين ينقلون هذا النص ويصلون به إلى من روي عنه ، ولا تتحقق صحة السند إلا بأن يوجد فيه أمور ، هي أن ينقله العدل الضابط عن مثله حتى يصل إلى من روي عنه من غير شذوذ ولا علة ، فإذا لم يكن لهذا الكلام المنقول سند كان هذا الكلام ساقطاً لا يمكن حسبانه نصاً شرعياً ، وإذا كان أحد رواته غير عدل بل هو متهم في دينه وسلوكه لم يعبأ بهذا الكلام الذي نقله ، وإذا كان أحد رواته سيء الحفظ أو ضعيفه فلا يعدّ هذا الكلام حجة في الدين ، وإذا حدث انقطاع بين رجال السند بأن لم يكن أحدهم قد سمع الخبر ممن فوقه سقط أيضاً هذا النص وأصبح نصاً لا يُعتد به . وإذا خالف الراوي من هو أوثق منه سقط أيضاً كلامه واخذ بكلام الأوثق وهكذا .

وأما المتن فهو نفس الكلام المنقول عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وليكون هذا الكلام المنقول صحيحاً يشترط فيه أن لا يكون مخالفاً للمنطق السليم ، والآ لا يكون مخالفاً لحقائق العلم ، والآ لا يكون في هذا الكلام ركابة في اللفظ أو المعنى ، وأن لا يكون مخالفاً للقرآن الكريم .

من هذا المنهج العلمي نستطيع أن ننطلق للتعرف على حقيقة هذا الكتاب الذي يدعى « معراج ابن عباس » فماذا نرى يا ترى ؟ إن من يتصفح هذا المسمى بمعراج ابن عباس لا بدّ من أن يلاحظ الأمور التالية :

١ - إن المعراج الذي وقع للرسول عليه الصلاة والسلام كان في مكة قبل الهجرة ، وابن عباس كان لا يزال صبياً في مهده ، فلا

بدّ أن يكون قد رواه عن غيره من الصحابة الذين عايشوه أو سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا بدّ أن يكون بعض من الصحابة قد رووا شيئاً مما يوجد في هذا المعراج ، وما وجد في الحقيقة لم نر أحداً من الصحابة قد رواه ، وربما يمكن التفاضي عن هذه النقطة لو سلم لنا غيرها من النقاط .

٢ - لقد روى حديث المعراج جمهور من الصحابة كما نرى ذلك في كتب السنة الصحيحة وما ذكر في هذا الكتاب مخالف لما رواه .

٣ - لم ينقل لنا في كتب الحديث ولا التاريخ أن لابن عباس كتاباً في المعراج ، ولو كان لاشتهر على السنة المحدثين وكتبهم التي تعنى بما هو أقلّ من ذلك .

٤ - لو فرض أن هذا المعراج من وضع ابن عباس وحاشاه من ذلك - فمن الذي رواه عن ابن عباس ، وأين السند الذي وصل إلينا به هذا المعراج .

٥ - إن كثيراً مما وجد في هذا المعراج يأباه التفكير السليم والعقل الصحيح ، من ذلك ما حكاه عن السموات من أنها بعضها من حديد وبعضها من ذهب وبعضها ...

وما ذكر من أن الرسول رأى في السماء الأولى ملكاً نصفه من ثلج ونصفه من نار ، فلا الثلج يطفئ النار ولا النار تذيب الثلج ، له ألف رأس وفي كل رأس ألف الف وجه وفي كل وجه ألف ألف لسان يسبح الله بألف ألف لغة ومن ذلك ما ذكره عن ملك الموت وما ذكره في وصف جهنم .

٦ - أن كثيراً مما فيه هو من الخرافات والأساطير والإسرائيليات .

ومن المؤكد أن يبدأ عدوة للإسلام قد صاغت هذا المعراج ، ولكي تكسب ثقة القارئ عزته إلى ابن عباس ، ولكي تموه الأمر خلطت فيه شيئاً قليلاً مما يذكر في كتب الصحاح عن المعراج ليكون كدس السم في الدسم ، وأغلب الظن أن هذه اليد هي يد يهودية ، لأن اليهود ما برحوا يكيدون للإسلام منذ فجره إلى يومنا هذا بشتى الأسباب والوسائل والمجالات والاتجاهات سواء في ذلك العقيدة والنظم والمبادئ والسياسة ، فليحذر المسلمون من كيدهم ، فأولئك الذين لعنهم الله وجعل منهم القردة والخنازير ، فكيف يسوغ بعد ذلك نسبة هذا المعراج إلى ابن عباس وكيف يجوز للمسلمين أن يقرؤوه وكيف يسوغ لبعض المسلمين أن يطبعه وينشره ابتغاء كسب عاجل . ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » فعلى المسلمين أن ينبه بعضهم بعضاً لذلك ، ولينشروا فيما بينهم الوعي الديني الصحيح « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم » .

هذا وقد كتب عن المعراج المنسوب إلى ابن عباس صديقنا الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي شيئاً ضمن كتابين له ، أحدهما تجربة التربية الإسلامية ، والثاني من الفكر والقلب فجزاه الله خيراً .

فأنت رايت من خلال ما تقدم أن ابن عباس كان قمة في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان قمة في الفقه والتفسير ، فحق أن يدعى بالحبر .

الفصل الثالث

مواقفه السياسية

إن شخصية ابن عباس شخصية متكاملة ، وهي بحق تمثل شخصية المسلم الواعي المدرك الواقعي ، فهو لم يحصر نفسه في جانب من جوانب الحياة ويهمل الجوانب الأخرى أو يقف منها موقفاً سلبياً ، بل كان آخذاً من كل ناحية بطرف ، فهو فقيه مرجع في الفقه ، وهو محدث يضرب إليه الناس بطون الإبل من مشارق الأرض ومغاربها ليتلقوا عنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مفسر يفوص على جواهر معاني كتاب الله فيستخرجها ، فيكون مصدراً من أبرز مصادر التفسير ، يتناول العلماء أقواله فيه ويتلقونها بالقبول ، وهو أديب من قمم الأدب يأوي إليه علماء اللغة فيأخذون عنه اللغة والأدب ، وهو إلى جانب ذلك خطيب من أبرز الخطباء وحكيم من المع الحكماء ، وذو منطق وحجة واجوبة مذهشة مسكتة مقنعة . هذا ولم تخل حياته من العمل في ميدان السياسة ، فلقد كان له في هذا الميدان جولات وجولات لم يقصر فيها عن نظرائه ، إلا أن الناحية العلمية كانت أبرز شيء في حياته ، حتى إنها طفت على ما عداها من الصفات البارزة فيه ، وأصبح بعض الناس لا يرى فيه إلا المفسر والمحدث والفقيه .

ونحن فيما يلي نجلّي هذا الجانب السياسي بعرض بعض مواقف له فيه ، كي يتجلى تكامل شخصيته ، ويكون قدوة في ذكائه وفطنته والمعيته .

رأيه في تولي علي الخلافة :

مما لا شك فيه أن صحبته الطويلة لعمر أكسبته خبرة في الرجال ، وبصيرة نافذة فيما تعقبه الأحداث من أمور ومشاكل ، ولذلك كان يضع الأمور مواضعها، ويحسب نتائج الأمور قبل وقوعها، ولقد كان يرى أن من البدهي أن يعقب قتل عثمان رضي الله عنه وما رافقه من أحداث وما سبقه من ملابسات بلبلة واضطراباً في الوسط الإسلامي داخل المدينة وخارجها ، من هذه البصيرة النافذة كان يرى أن ليس من مصلحة علي أن يتولى الخلافة، سيما وقد كان يوم مقتل عثمان ماكثاً في المدينة، وبينه وبين مسرح الأحداث مرمى النظر.

فعن عمرو بن دينار: أن أهل المدينة كلموا ابن عباس أن يحج بهم ، فدخل على عثمان فأمره ، فحج ثم رجع ، فوجد عثمان قد قتل ، فقال لعلي : إن أنت قمت بهذا الأمر ألزمك الناس دم عثمان إلى يوم القيامة (١) .

والذي يبدو من أخبار التاريخ أن علياً رضي الله عنه لم يكن راغباً في الخلافة في غمرة هذه الأحداث ، وأن نصيح ابن عباس قد صادف مكاناً في نفسه ، إلا أن الأمور قد جرت على غير ما يحب ، فقد لجأ الناس إليه ليتولى الخلافة بل قد أكرهوه على ذلك حين لم يروا أحداً غيره أكثر أهلية لتوليها .

(١) سير النبلاء : ٣ / ٢٣٤ .

ففي البداية والنهاية عن سيف بن عمر عن جماعة من شيوخه قالوا : بقيت المدينة خمسة أيام بعد مقتل عثمان وأميرها الفافقي ابن حرب ، يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر . والمصريون يلحون على عليّ وهو يهرب منهم إلى الحيطان ، ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه ، والبصريون يطلبون طلحة فلا يجيبهم ، فقالوا فيما بينهم : لا نولي أحداً من هؤلاء الثلاثة ، فمضوا إلى سعد بن أبي وقاص فقالوا : إنك من أهل الشورى فلم يقبل منهم ، ثم راحوا إلى ابن عمر ، فحاروا في أمرهم ثم قالوا : إن نحن رجعنا إلى أمصارنا بقتل عثمان من غير إمرة اختلف الناس في أمرهم ولم نسلم ، فرجعوا إلى عليّ فألحوا عليه وأخذوا لأشتر بيده فبايعه وبايعه الناس . وفي البداية والنهاية أيضاً : وقد امتنع عليّ من إجابتهم إلى قبول الإمارة حتى تكرر قولهم له ، وفرّ منهم إلى حائط بني عمرو بن مبدول ، وأغلق بابه ، فجاء الناس فطرقوا الباب وولجوا عليه ، وجأؤا معهم بطلحة والزبير ، فقالوا له : إن هذا الأمر لا يمكن بقاءه بلا أمير ، ولم يزالوا به حتى أجاب (١) .

نصح ابن عباس لعليّ بإبقاء الولاية ولادة في أمصارهم :

بعد أن ولي عليّ رضي الله عنه الخلافة بايعه ابن عباس ، ورأى أن المصلحة أن يكون إلى جانبه يمحضه النصح ، ويعاونه في حلّ ما يتعقد من أمور ، وكان من أول ما قدم له من نصح ، أن حثه على استبقاء الولاية في إمارتهم ، وخاصة معاوية بن أبي سفيان الذي كان والياً على الشام آنذاك .

(١) البداية والنهاية : ٢٢٦/٧ - ٢٢٧ .

ففي البداية والنهاية : لما استقر أمر بيعة علي دخل عليه طلحة والزبير ورؤوس الصحابة رضي الله عنهم ، وطلبوا منه إقامة الحدود والأخذ بدم عثمان ، فاعتذر إليهم بأن هؤلاء لهم مدد وأعوان ، وأنه لا يمكنه ذلك يومه هذا ...

ثم أشار ابن عباس على علي باستمرار نوابه في البلاد إلى أن يتمكن الأمر ، وأن يقرّ معاوية خصوصاً على الشام ، وقال له : إني أخشى إن عزلته عنها أن يطلبك بدم عثمان ، ولا آمن طلحة والزبير أن يتكلما عليك بسبب ذلك ، فقال علي : إني لأرى هذا ، ولكن اذهب أنت إلى الشام فقد وليتها . فقال ابن عباس لعلي : إني أخشى من معاوية أن يقتلني بعثمان ، أو يجبسنى لقرايتي منك ، ولكن اكتب معي إلى معاوية فمَنْهُ وعدّه ، فقال علي : والله إن هذا مالا يكون أبداً . فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين ، الحرب خدعة ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوالله لأوردنهم بعد صدرهم (١) .

نصحه لعلي بالبقاء في المدينة وعدم الرحيل الى العراق :

ومن النصائح القيمة التي قدمها ابن عباس لعلي رضي الله عنهما نصحه إياه أن لا يذهب الى العراق ويفادر المدينة المنورة ، لأنه يرى أن المدينة هي عاصمة الاسلام ، ومنها انتشر في أرجاء الأرض ، وأهلها هم أقدم الناس إيماناً وأصدقهم في نصره الحق .

قال ابن كثير : ونهى ابن عباس علياً فيما أشار إليه أن

(١) البداية والنهاية : ٢٢٨/٧ - ٢٢٩ .

يقبل من هؤلاء الذين يحسنون إليه الرحيل الى العراق ومفارقة المدينة ، فأبى عليه ذلك كله ، وطاوع امر أولئك الأمراء من أولئك الخوارج من أهل الأمصار .

شهود ابن عباس مع عليّ الجمل وصفين :

كان ابن عباس الى جانب عليّ رضي الله عنه في أحلك ظرف مرّ عليه في حياته ألا وهو معركة الجمل وصفين ، ولقد كان يرى ان من الواجب عليه ان يناصر علياً لا لانه ابن عمه وإنما من اجل ان جمهور المسلمين قد بايعوه بالخلافة ، وان من لم يبايعه خارج عن أمر الجماعة ويستحق القتال حتى يعود إلى أمر الله .

قال الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه ، قال : نظر أبي إلى ابن عباس يوم الجمل وصفين ، وكان أميراً على الميسرة ، وشهد معه قتال الخوارج ، وكان ممن أشار على عليّ ان يستنيب معاوية على الشام وأن لا يعزله عنها في بادئ الأمر حتى قال له فيما قال : إن أحببت عزله فوله شهراً واعزله دهرأ ، فأبى عليّ إلا ان يقاتله .

وفي البداية والنهاية : وفي اليوم الخامس - وهو يوم الأحد من معركة صفين - كان أمير الحرب من قبل عليّ رضي الله عنه عبد الله بن عباس ، وقد قاتل بنفسه قتالاً شديداً ، وقد طلب أن يبرز إليه من قبل جيش معاوية الوليد بن عقبة ، وكان أمير الحرب في ذلك اليوم فأبى (١) .

(١) البداية والنهاية : ٢٦٢/٧ .

وكان - أي ابن عباس - على مسيرة علي في اليوم السابع
في معركة صفين (١) .

توليه بعض المناصب السياسية :

لم تقتصر مشاركة ابن عباس في الأمور السياسية على إسداء
المشورة وإبداء الرأي ، بل شارك أيضاً في تولي بعض المناصب
السياسية ، وكان علي رضي الله عنه يجد فيه الرجل الكفاء ،
ويسند إليه تولي حكم بعض المناطق الهامة ، وحل بعض
المشكلات المستعصية .

في البداية والنهاية: أن علياً رضي الله عنه قد ولاه البصرة سنة
ست وثلاثين وذلك أن علياً عندما قدم البصرة عاد أبا بكر - وقد
كان مريضاً - وعرض عليه أن يوليه البصرة فامتنع وقال : رجل من
أهلك يسكن إليه الناس ، وأشار عليه بعبد الله بن عباس ، فولاه
البصرة وجعل معه زياد بن أبيه على الخراج وبيت المال ، وأمر ابن
عباس أن يسمع من زياد (٢). وفي الإصابة : أن علياً ولاه البصرة فلم
يزل ابن عباس على البصرة حتى قتل علي ، فاستخلف على البصرة
عبد الله بن الحارث ومضى إلى الحجاز . ولقد كان ابن عباس في
إمارته يسعى لتثقيف الناس وتعليمهم معاني القرآن الكريم وخاصة
في شهر رمضان .

أخرج الزبير بن بكار بسند له أن ابن عباس كان يفسر للناس

(١) البداية والنهاية : ٢٦٣/٧ .

(٢) البداية والنهاية : ٢٤٦/٧ بتصرف يسير .

في رمضان وهو أمير البصرة فما ينقضي الشهر حتى يفقههم (١). وكان أهل البصرة مغبوطين به ، يفقههم ويعلم جاهلهم ويعظ مجرمهم ويعطي فقيرهم .

ولقد كان أهل البصرة يشنون عليه بما هو جدير به من الثناء الطيب ، فقد ورد صعصعة بن صوحان على علي بن أبي طالب فسأله عن ابن عباس ، فقال صعصعة : يا أمير المؤمنين ، إنه أخذ بثلاث وتارك لثلاث : أخذ بقلوب الرجال إذا حدث ، وبحسن الاستماع إذا حدث ، وبأيسر الأمرين إذا خولف . وترك المراء ، ومقارنة اللئيم ، وما يعتذر منه (٢) .

لقد مرّ آنفاً أن ابن عباس بقي عاملاً على البصرة حتى وفاة علي رضي الله عنه ، غير أن هناك روايات تقول إنه ترك عمالته على البصرة وذهب إلى مكة في حياة علي رضي الله عنه .

ففي البداية والنهاية : ذكر ابن جرير سبب خروج ابن عباس عن البصرة ، وذلك أنه كلم أبا الأسود الدؤلي القاضي بكلام فيه غش من أبي الأسود ، فكتب أبو الأسود إلى علي يشكو إليه ابن عباس ، وينال من عرضه فإنه تناول شيئاً من أموال بيت المال ، فبعث علي إلى ابن عباس فعاتبه في ذلك وحرّر عليه التبعة ، فغضب ابن عباس من ذلك ، وكتب إلى علي : ابعث إلى عمك من أحببت فإنني ظاعن عنه والسلام . ثم سار ابن عباس إلى مكة مع أخواله بني هلال (٣) .

(١) الإصابة : ٩٤/٤ .

(٢) البداية والنهاية : ٣٠٠/٨ .

(٣) انظر البداية والنهاية : ٣٢٣/٧ .

ابن عباس وقضية التحكيم :

إن قضية التحكيم بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كانت نقطة تحول بالنسبة للخلاف الواقع بينهما ، ولا يعني هنا أن نبحث في هذه القضية وفي صالح من كانت وما هي الأسباب التي أدت إلى هذا التحكيم ، وإنما الذي يعني هنا أن نبرز الدور الذي قام به عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

لقد شهد ابن عباس معركة صفين وكان في تلك المعركة أمير الحرب من قبل علي رضي الله عنه - كما مرّ - ولقد نادى أصحاب الشام بإيقاف القتال والتحكيم .

ولقد كان رأي علي رضي الله عنه أن يكون ابن عباس الحكم من جهته لما يرى فيه من الكفاءة لمثل هذا الموقف الحرج ، ولكن أهل اليمن أبوا إلا أن يكون الحكم من جهة علي أبو موسى الأشعري رضي الله عنه الذي كان معترلاً القتال آنذاك .

ولقد كان ابن عباس ينصح علياً ألا يكون أبو موسى حكماً عنه .

فعن عكرمة قال: سمعت عبد الله بن عباس يقول : قلت لعلي: لا تحكم أبو موسى فإن معه رجلاً ، حذراً ، مرساً ، قارحاً من الرجال ، فلزّني إلى جنبه ، فإنه لا يحلّ عقدة إلا عقدها ، ولا يعقد عقدة إلا حلّلتها ، قال : يا ابن عباس فما أصنع ؟ إنما أوتى من أصحابي ، قد ضعفت نيتهم وكلوا . هذا الأشعث يقول : لا يكون فيها مضران أبداً . فعذرت علياً (١) .

ولقد نزل علي على رغبة هؤلاء ففوض أبو موسى الأشعري ،

(١) سير النبلاء : ٣ / ٢٣٤ .

إلا انه أراد أن يجعل لابن عباس مشاركة في هذا الأمر الجلل ، فجعله أحد الشهود العشرة من جهته على كتاب التحكيم (١) .

مناظرة ابن عباس للخوارج :

عندما رضي علي رضي الله عنه بالتحكيم انشق عنه فريق من جيشه يقرب من اثني عشر ألفاً ، واخذوا ينادون لا حكم إلا لله ، وكفروا علماً بذلك ، وهؤلاء هم الذين أصبحوا يسمون في التاريخ بالخوارج .

ولقد أراد علي أن يرجعهم إلى جادة الصواب ، فأرسل إليهم عبد الله بن عباس فناظرهم ، ولقد عاد أكثرهم إلى موالاة علي .

ولقد جرى بين ابن عباس وهؤلاء الخوارج مناظرات ومناقشات تظهر مقدرة ابن عباس السياسية والعلمية .

ففي البداية والنهاية : أن علماً بعث إلى الخوارج عبد الله بن عباس ، حتى إذا توسط عسكرهم ، فقام ابن الكوا فخطب الناس فقال : يا حملة القرآن ، هذا عبد الله بن عباس فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه ، ممن يخاصم في كتاب الله بما لا يعرفه ، هذا ممن نزل فيه وفي قومه : (بل هم قوم خصمون) فردّوه إلى صاحبه ، ولا تواضعوه كتاب الله ، فقال بعضهم : والله لنواضعنه فإن جاء بحق نعرفه لنتبعنّه ، وإن جاء بباطل لنكبتنّه بباطله ، فواضعوا عبد الله الكتاب ثلاثة أيام ، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب ، فيهم ابن الكوا ، حتى أدخلهم على علي الكوفة (٢) .

(١) البداية والنهاية : ٢٧٦/٧ .

(٢) البداية والنهاية : ٢٨١/٧ . لنواضعنه : في القاموس : المواضعة المراهنة ومشاركة البيع ، والموافقة في الأمر . وهلم اواضعك الرأي : اطلعك على رأيي وتطلعني على رأيك .

وفي الكامل للمبرد : ذكر أهل العلم من غير وجه أن علياً رضي الله عنه لما وجّه إليهم عبد الله بن عباس رحمة الله عليه لينظرهم ، قال لهم : ما الذي نقيمتم على أمير المؤمنين ؟ قالوا : قد كان للمؤمنين أميراً ، فلما حكم في دين الله خرج من الإيمان ، فليتب بعد إقراره بالكفر تعد له ، فقال ابن عباس : لا ينبغي لمؤمن لم يشب إيمانه شك أن يقرّ على نفسه بالكفر .

قالوا : إنه قد حكم . قال : إن الله عز وجل قد أمرنا بالتحكيم في قتل صيد فقال عزّ وجل : « يحكم به ذوا عدل منكم » فكيف في إمامة قد أشكلت على المؤمنين ؟ !

فقالوا : إنه قد حكم عليه فلم يرض . فقال : إن الحكومة كالإمامة ، ومتى فسق الإمام وجبت معصيته ، وكذلك الحكمان لما خالفا نبذت أقاويلهما .

فقال بعضهم لبعض : لا تجعلوا احتجاج قريش حجة عليكم ، فإن هذا من القوم الذين قال الله عزّ وجلّ فيهم : « بل هم قوم خصمون » وقال عزّ وجلّ : « وتذّر به قوماً لئلا (١) » .

وفي الكامل أيضاً : أن علياً وجّه إليهم عبد الله بن عباس ، فلما صار إليهم رحبوا به وأكرموه ، فرأى منهم جباها قرحة لطول السجود ، وأيدياً كثفنت الإبل ، عليهم قمص مرخضة وهم مشمرون ، فقالوا : ما جاء بك يا أبا العباس ؟ فقال : جئكم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه وأعلمنا بربه وسنة نبيه ، ومن عند المهاجرين والأنصار . قالوا : إنا أتينا عظيمًا حين حكمنا الرجال في دين الله ، فإن تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا ، فقال ابن عباس : نشدتكم الله إلا ما صدقتم أنفسكم

(١) رغبة الآمل من كتاب الكامل : ٧٩/٧ .

أما علمتم أن الله أمر بتحكيم الرجال في أرنب تساوي ربع درهم تصاد في الحرم ، وفي شقاق رجل وامرأته ؟ فقالوا : اللهم نعم .

فقال : فأنشدكم الله هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين أهل الحديبية ؟ قالوا : نعم ، ولكن علينا محا نفسه من إمارة المسلمين . قال ابن عباس : ليس ذلك بمزيلها عنه ، وقد محا رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه من النبوة ، وقد اخذ علي على الحكمين أن لا يجورا ، وإن يجورا فعلي أولى من معاوية وغيره .

قالوا : إن معاوية يدعي مثل دعوى علي . قال : فأيهما رأيتموه أولى فلوله . قالوا : صدقت . قال ابن عباس : متى جار الحكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما . قال : فاتبعه منهم الفان ، وبقي أربعة آلاف (١) .

وفي الكامل للمبرد أيضاً : كان أصحاب النخيلة قالوا لابن عباس : إذا كان علي على حق لم يشكك فيه ، وحكم مضطراً فما باله حيث ظفر لم يسب ؟ فقال لهم ابن عباس : قد سمعتم الجواب في التحكيم فأما قولكم في السبأ أفكنتم سابين أمكم عائشة ؟! فوضعوا أصابعهم في آذانهم وقالوا : أمسك عنا غرب لسانك يا ابن عباس ، فإنه طلق ذلك غواص على موضع الحجة (٢) .

(١) رغبة الأمل : ١٤٠/٧ .

(٢) شرح الكامل : ١٧٧/٧ وأصحاب النخيلة جماعة من الخوارج ممن فارقوا عبد الله بن وهب وممن لجأ إلى راية أبي أيوب وممن أقام بالكوفة فقال لا أقاتل علياً ولا أقاتل معه ، ثم ندموا على ذلك فوجه إليهم علي ابن عباس ، ولما أصروا على موقفهم قاتلهم علي رضي الله عنه فقتلهم حتى لم يفلت منهم إلا خمسة . طلق ذلك : سريع النطق حاد اللسان .

وفي الحلية عن ابن عباس قال: لما اعتزلت الحرورية قلت لعلي : يا أمير المؤمنين ابرد عني الصلاة لعلي آتي هؤلاء القوم فالكلمهم ، قال : إني أتخوفهم عليك ، قال: قلت كلا إن شاء الله، فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة ، فدخلت على قوم لم أر قوماً أشد اجتهاداً منهم ، أيديهم كأنها ثفن إبل — جمع ثفنة وهي ركة البعير وما مس الأرض من كركرتة — ووجوههم مقلبة من آثار السجود ، قال: فدخلت، فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس ، ما جاء بك ؟ قال : جئت أحدثكم . على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الوحي ، وهم أعلم بتأويله ، فقال بعضهم : لا تحدثوه ، وقال بعضهم: لنحدثنّه . قال: فقلت : أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وأول من آمن به ، وأصحاب رسول الله معه ، قالوا: ننقم عليه ثلاثاً ، قلت : وما هنّ ؟ قالوا : أولاً أنه حكّم الرجال في دين الله ، وقد قال الله عز وجل : « إن الحكم إلا لله » قال : قلت وماذا ؟ قالوا : قاتل ولم يسب ولم يغنم ، لئن كانوا كفاراً لقد حلت له أموالهم ، وإن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم، قال : قلت ثم ماذا ؟ قالوا : ومحا نفسه عن أمير المؤمنين ، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين .

قال : قلت رأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم ، وحدثتكم من سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ما لا تنكرون أترجعون ؟ قالوا: نعم ، قال : قلت : أما قولكم إنه حكم الرجال في دين الله فإنه يقول: « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم » وقال في المرأة وزوجها : « وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكماً

من أهله وحكماء من أهلها .» أنشدكم الله افحكم الرجال في حقن دمائهم
وانفسهم وصلاح ذات بينهم أحق أم في أرب ثمنها ربع درهم ؟
فقالوا : اللهم في حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم ، قال : أخرجت
من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم .

قال : وأما قولكم إنه قاتل ولم يسب ولم يفتنم أنسبون أمكم
ثم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها ؟ فقد كفرتم ، وإن
زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام ، إن الله
عز وجل يقول : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه
أمهاتهم » فأنتم تترددون بين ضلالتين ، فاختراروا أيهما شئتم ،
أخرجت من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم .

قال : وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين فإن رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعا قريشاً يوم الحديبية على أن يكتب بينه
وبينهم كتاباً ، فقال : اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله
فقالوا : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا
قاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن عبد الله ، فقال : والله إني لرسول الله
وإن كذبتُموني . اكتب يا علي محمد بن عبد الله ، فرسول الله كان
أفضل من علي ، أخرجت من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم ، فرجع منهم
عشرون ألفاً ، وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا (١) .

ابن عباس ومعاوية :

لقد حدثت لقاءات بين ابن عباس ومعاوية وجرت بينهما
أحاديث ومناقشات تنم عن ذكاء والمعية في ابن عباس ، كما تدل على
حنكة سياسية عنده مع التزام لقول الحق دون أن يخشى في الله
لومة لائم ، وفيما يلي نذكر بعضاً من هذه المواقف .

(١) الحلية : ٣١٨/١ - ٣٢٠ .

ففي البداية والنهاية عن ابن عباس قال : دخلت على معاوية حين كان الصلح - وهو أول ما التقيت أنا وهو - فإذا عنده أناس فقال : مرحباً بابن عباس ، ما تحاكت الفتنة بيني وبين أحد كان أعز عليّ بعداً ولا أحب إليّ قرباً ، الحمد لله الذي أمات علياً فقلت له : إن الله لا يذم في قضائه ، وغير هذا الحديث أحسن منه ، ثم قلت له : أحب أن تعفيني من ابن عمي وأعفيك من ابن عمك ، قال : ذلك لك (١) .

وفي حياة الصحابة : أخرج الطبراني عن ربعي بن حراش قال : استأذن عبدالله بن عباس على معاوية رضي الله عنه ، وقد علقت عنده بطون قريش ، وسعيد بن العاص جالس عن يمينه ، فلما رآه معاوية مقبلاً قال : ياسعيد والله لالقينّ على ابن عباس رضي الله عنهما مسائل يعيى بجوابها ، فقال له سعيد : ليس مثل ابن عباس يعيى بمسائلك ، فلما جلس قال له معاوية : ما تقول في أبي بكر ؟ قال : رحم الله أبا بكر كان والله للقرآن تالياً ، وعند الميل نائياً ، وعن الفحشاء ساهياً ، وعن المنكر ناهياً ، وبدينه عارفاً ، ومن الله خائفاً ، وبالليل قائماً ، وبالنهار صائماً ، ومن دنياه سالماً ، وعلى عدل البرية عازماً ، وبالمعروف آمراً ، وإليه صائراً ، وفي الأحوال شاكراً ، والله في الغدو والرواح ذاكراً ، ولنفسه بالمصالح قاهراً ، فاق أصحابه ورعاً وكفافاً ، وزهداً وعفافاً ، وبراً وحيطة وزهادة وكفاءة ، فأعقب الله من ثلبه اللعائن إلى يوم القيامة .

قال معاوية : فما تقول في عمر بن الخطاب ؟ قال : رحم الله أبا

(١) البداية والنهاية : ٣٠١/٨ . ويعني بابن عمك عثمان بن عفان رضي الله عنه .

حفص ، كان والله حليف الاسلام ، وماوى الأيتام ، ومحل الإيمان ،
ومعاذ الضعفاء ، ومقل الحنفاء ، للخلق حصناً وللناس عوناً ،
قام بحق الله صابراً محتسباً حتى أظهر الله الدين وفتح الديار ،
وذكر الله في الاقطار والمناهل وعلى التلال وفي الضواحي والبقاع ، وعند
الخنا وقوراً ، وفي الشدة والرخاء شكوراً ، والله في كل وقت واوان
ذكوراً ، فأعقب الله من يبغضه اللعنة إلى يوم الحسرة .

قال معاوية : فما تقول في عثمان بن عفان ؟ قال : رحم الله
ابا عمرو ، كان والله أكرم الحفدة ، وأوصل البررة ، واصبر الغزاة ،
هجداً بالاسحار كثير الدموع عند ذكر الله ، دائم الفكر فيما يعنيه
الليل والنهار ، ناهضاً إلى كل مكرمة ، يسمى إلى كل منجية ،
فراراً من كل موبقة ، وصاحب الجيش والبئر ، وختن المصطفى على
ابنتيه ، فأعقب الله من سبّه الندامة إلى يوم القيامة .

قال معاوية : فما تقول في علي بن أبي طالب ؟ قال : رحم الله
ابا الحسن ، كان والله علم الهدى ، وكهف التقى ، ومحل الحجا ،
وطود البهاء ، ونور السرى في ظلم الدجى ، داعياً إلى المحجة
العظمى ، عالماً بما في الصحف الاولى ، وقائماً بالتأويل والذكرى ،
متعلقاً بأسباب الهدى ، وتاركاً للجور والأذى ، وحائداً عن طرقات
الردى .

قال : فما تقول في طلحة والزبير ؟ قال : رحمة الله عليهما ،
كانا والله عفيفين ، برّين ، مسلمين ، طاهرين ، متطهرين ،
شهيدين ، عالمين ، زلاّ زلة والله غافر لهما إن شاء الله بالنصرة
القديمة والصحة القديمة ، والأفعال الجميلة .

قال معاوية : فما تقول في العباس ؟ قال : رحم الله أبا الفضل ،
كان والله صينو ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقرة عين
صفي الله ، كهف الاقوام ، وسيد الأعمام ، وقد علا بصراً بالأمور
ونظراً بالعواقب ، قد زانه علم ، قد تلاشت الأحساب عند ذكر

فضيلته، وتباعدت الأسباب عند فخر عشيرته، ولم لا يكون كذلك؟! وقد ساسه أكرم من دبّ وهبّ عبد المطلب أفخر من مشى من قریش وركب (١) ...

وروى المدائني أن عبد الله بن عباس وفد إلى معاوية ، فأمر معاوية ابنه يزيد أن يأتيه فيعزيه في الحسن بن علي ، فلما دخل على ابن عباس رحب به وأكرمه، وجلس عنده بين يديه، فأراد ابن عباس أن يرفع مجلسه فأبى وقال : إنما اجلس مجلس المعزّي لا المهني ، ثم ذكر الحسن فقال : رحم الله أبا محمد أوسع الرحمة وأفسحها، وأعظم الله أجرك وأحسن عزاءك ، وعوضك من مصابك ما هو خير لك ثواباً وخير عقبى . فلما نهض يزيد من عنده قال ابن عباس : إذا ذهب بنو حرب ذهب علماء الناس ، ثم أنشد متمثلاً :

مَغَاضٍ عَنِ الْعُرَاءِ لَا يَنْطُقُوا بِهَا وَأَصْلُ وَرِاثَاتِ الْحُلُومِ الْأَوَائِلُ (٢)

نصح ابن عباس للحسين رضي الله عنهما بعدم الخروج إلى العراق:

كما كان ابن عباس قريباً من علي بن أبي طالب يؤازره ويقا تل معه ويدافع عنه كان كذلك قريباً من أبنائه الحسن والحسين يواليهما ويؤيدهما وينصح لهما، ولقد كان يدرك ابن عباس حقيقة أهل العراق آنذاك ويعلم المواقف غير الحسنة التي وقفوها من ابن عمه علي رضي الله عنه فكان لا بدّ أن يحذر الحسين رضي الله عنه من الركون إليهم والاطمئنان إلى وعودهم والاعتراض بكثرة كتبهم التي كانوا يرسلون بها إليه ، وعندما كتب أهل العراق كتباً كثيرة يستحثون بها الحسين للقدوم عليهم نصحه ابن عباس أن لا يستجيب لذلك ، واشتد بالإلحاح عليه أن لا يفعل .

(١) حياة الصحابة : ٥٣/١ - ٥٧ .

(٢) البداية : ٢٢٨/٨ - ٢٢٩ .

عن ابن عباس قال : استشارني الحسين بن علي في الخروج فقلت : لولا أن يزري بي وبك الناس لشبثت يدي في رأسك فلم أتركك تذهب ، فكان الذي ردّ عليّ أن قال : لأن أقتل في مكان كذا وكذا أحب إليّ من أن أقتل بمكة ، قال : فكان هذا الذي سلّى نفسي عنه . أي أحب إليه من أن يقتل في مكة فتستحل حرمتها بقتله فيها (١) .

وعن عقبة بن سميان أن حسيناً لما أجمع السير إلى الكوفة أتاه ابن عباس فقال : يا ابن عم انه قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق ، فبين لي ما أنت صانع ، فقال : إني قد أجمعت السير في أحد يوميّ هذين إن شاء الله تعالى ، فقال له ابن عباس : أخبرني إن كان قد دعوك بعدما قتلوا أميرهم ونفوا عدوهم وضبطوا بلادهم فسر إليهم ، وإن كان أميرهم حياً وهو مقيم عليهم قاهرهم ، وعماله تجبي بلادهم ، فإنهم إنما دعوك للفتنة والقتال ، ولا آمن عليك أن يستفروا عليك الناس ويقبلوا قلوبهم عليك ، فيكون الذين دعوك أشد الناس عليك ، فقال الحسين : إني استخير الله وأنظر ما يكون ، فخرج ابن عباس عنه .

فلما كان من العشي أو من الفد ، جاء ابن عباس إلى الحسين فقال له : يا ابن عم إني أتصبر ولا أصبر ، إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك ، إن أهل العراق قوم غدر فلا تغترن بهم ، أقم في هذا البلد حتى ينفي أهل العراق عدوهم ثم أقدم عليهم ، وإلاّ فسر إلى اليمن فإن به حصوناً وشعاباً ولأبيك به شيعة ، وكن عن الناس في معزل ، واكتب إليهم وبثّ دعائك فيهم ، فإني أرجو إذا فعلت

(١) انظر سير النبلاء : ٣/١٩٦ . والبداية والنهاية : ٨/١٥٩ .

ذلك أن يكون ما تحب . فقال الحسين : يا ابن عم والله إني لأعلم أنك ناصح شفيق، ولكنني قد أزمعت المسير . فقال له : فإن كنت ولا بدّ سائراً فلا تسر بأولادك ونسائك ، فوالله إني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ، ونساؤه وولده ينظرون إليه . ثم قال ابن عباس : أقررت عين ابن الزبير بتخليتك إياه بالحجاز ، فوالله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع عليّ وعليك الناس أطعنتني وأقمت لفعلت ذلك .

قال ثم خرج من عنده فلقي ابن الزبير فقال : قرّت عينك يا ابن الزبير ، ثم قال :

يا لك من قبرة بمعمر
خلاً لك الجو فيضي واصفري
ونقّري ما شئت أن تنقّري
صيادك اليوم قتيل فابشري

ثم قال ابن عباس : هذا حسين يخرج إلى العراق ويخليك والحجاز (١) .

وبعد أن خرج الحسين رضي الله عنه الى العراق ومعه أهله كتب يزيد إلى ابن عباس يذكر له خروج الحسين ويقول : نحسب أنه جاءه رجال من المشرق فمنوه الخلافة ، وعندك منهم خبرة ، فإن فعل فقد قطع القرابة والرحم ، وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه ، فاكفّه عن السعي في الفرقة . فكتب إليه ابن عباس : إني لأرجو ألا يكون خروجه لأمر تكره ، ولست ادع النصيحة له (٢) .

(٢) البداية والنهاية : ١٥٩/٨ - ١٦٠ . وانظر سير النبلاء : ٢٠٠/٣ .

(٢) سير النبلاء : ٢٠٤/٣ و البداية والنهاية : ١٦٤/٨ - ١٦٥ .

في كل ما تجتمع به الالفة ، وتطفأ به النائرة ، ودخل ابن عباس على الحسين فكلمه طويلاً وقال له : أشدك أن تهلك غداً بحال مضيعة ، لا تأت العراق ، وإن كنت لا بدّ فاعلاً فأقم حتى ينقضي الموسم ، وتلقى الناس ، وتعلم ما يصدرن ، ثم ترى رأيك ، وذلك في عشر ذي الحجة . فأبى الحسين إلا أن يمضي إلى العراق ، فقال له ابن عباس : والله إني لأظنك ستقتل غداً بين نسائك وبناتك كما قتل عثمان بين نسائه وبناته ، والله إني لأخاف أن تكون أنت الذي يقاد به عثمان ، فإن الله وإنّا إليه راجعون . فقال له الحسين : أبا العباس إنك شيخ قد كبرت ، فقال له ابن عباس : لولا أن يزري ذلك بي وبك لنسبت يدي في رأسك ، ولو أعلم أنا إذا تناصينا أقمتم لفعلت ، ولكن لا إخال ذلك مانعك ، فقال الحسين : لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إليّ من أن أقتل بمكة ، وتستحل بي . قال فبكى ابن عباس .

موقفه من عبد الله بن الزبير :

عندما مات معاوية بن يزيد رأى عبد الله بن الزبير أنه أولى الناس بالخلافة ، فقام بالدعوة لنفسه ، فبايعه كثير من أهل الحجاز وأهل مصر والعراق ولم يبق مؤيداً لبني أمية إلا أهل الشام ، والذي يظهر أن فريقاً من أهل الحجاز لم يكن راضياً بخلافته فلم يبايعوه منهم عبد الله بن عمر وابن الحنفية وعبد الله بن عباس . ولقد كانت كراهية ابن عباس لولاية ابن الزبير بادية منذ أن كان الحسين حياً كما يلاحظ مما مرّ عندما نصّح ابن عباس الحسين بعدم الخروج ، وكان ابن الزبير يغريه بالخروج ليخلو له الجو في رأي ابن عباس . ورغم كراهية ابن عباس لذلك فإنه أخيراً رغب في مبايعته وإظهار الطاعة له غير أن ابن الزبير لم يحسن معاملته بل أعرض عنه وقدم عليه غيره . وفيما يلي بعض مواقف لابن عباس مع ابن الزبير .

في صحيح البخاري عن ابن أبي مليكة قال : دخلنا على ابن عباس فقال : ألا تعجبون لابن الزبير قام في أمره هذا ، فقلت : لأحاسبن نفسي له محاسبة ما حاسبته لأبي بكر ولالعمر ، ولهما كانا أولى بكل خير منه ، وقلت : ابن عمه النبي صلى الله عليه وسلم ، ابن الزبير ، وابن أبي بكر ، وابن أخي خديجة ، وابن أخت عائشة ، فإذا هو يتعلّى عني ولا يريد ذلك ، فقلت : ما كنت أظن أني أعرض هذا من نفسي فيدعه ، وما أراه يريد خيراً ، وإن كان لا بدّ لأن يرني بنو عمي أحبّ إليّ من أن يرني غيرهم (١) .

وفي البداية والنهاية : لما وقع الخلاف بين ابن الزبير وبين عبد الملك بن مروان اعتزل ابن عباس ومحمد ابن الحنفية الناس ، فدعاهما ابن الزبير لبياعاه فأبيا عليه ، وقال كل منهما : لا نبايعك ولا نخالفك ، فهمّ بهما فبعثا أبا الطفيل عامر بن واثلة ، فاستنجد لهما من العراق من شيعتهما ، فقدم أربعة آلاف فكبروا بمكة تكبيرة واحدة ، وهموا بابن الزبير فهرب فتعلق بأستار الكعبة وقال : أنا عائد بالله ، فكفّوهم عنه ، ثم مالوا إلى ابن عباس وابن الحنفية وقد حمل ابن الزبير حول دورهم الحطب ليحرقهم ، فخرجوا بهما حتى نزلوا الطائف (٢) .

ومرّ عبد الله بن صفوان يوماً بدار عبد الله بن عباس ، فرأى فيها جماعة من طالبي الفقه ، ومرّ بدار عبيد الله بن عباس فرأى فيها جمعاً يتناوبونها للطعام ، فدخل على ابن الزبير فقال له : أصبحت والله كما قال الشاعر :

فإن تصبك من الأيام قارعة
لم نيك منك على دنيا ولا دين

-
- (١) صحيح البخاري : ٢٠٥/٥ يرني بنو عمي : يكونوا علي أمراء والمراد ببني عمه بنو أمية . انظر فتح الباري : ٢٢٧/٨ .
(٢) البداية والنهاية : ٣٠٥/٨ - ٣٠٦ .

فقال : وما ذاك يا أعرج ؟ فقال : هذان ابنا العباس أحدهما يفقه الناس ، والآخر يطعم الناس . فما ابقيا لك مكرمة . فدعا عبد الله بن مطيع وقال له : انطلق الى ابني العباس ، فقل لهما : يقول لكما أمير المؤمنين : اخرجنا عني أنتما ومن انضوى إليكما من أهل العراق ، وإلاّ فعلت وفعلت ، فقال عبد الله : والله ما يأتينا من الناس إلا رجлан : رجل يطلب فقهاً ، ورجل يطلب فضلاً . فأبي هذين تمنع ؟ (١) .

وفي البداية والنهاية أيضاً : قال الواقدي : لما أراد ابن الزبير هدم البيت شاور الناس في هدمها ، فأشار عليه جابر بن عبد الله وعبيد بن عمير بذلك ، وقال ابن عباس : أخشى أن يأتي بعدك من يهدمها ، فلا تزال تهدم حتى يتهاون الناس بحرمتها ، ولكن أرى أن تصلح ما يتهدم من بنيانها (٢) .

ومما مرّ يتبين أن ابن عباس لم يكن بمنأى عن الحياة السياسية ، بل كان خائضاً غمارها ومشاركاً فيها ، ولقد كان له دخل كبير في توجيه دفة السياسة من بعيد أو قريب كما لاحظت من سرد هذه المواقف .

(١) نكت الهميان : ١٨١ .

(٢) البداية والنهاية : ٢٥١/٨ . ولقد كانت رغبة ابن الزبير في هدم الكعبة ليعيد بناءها على قواعد إبراهيم ويدخل فيها الحجر لأنه من الكعبة ، ولكن قريشاً لم تدخل الحجر حينما بنت الكعبة قبل الإسلام لأن النفقة الحلال قد قصرت بهم ، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة : «لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لأمرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج منه » فأراد ابن الزبير أن يحقق ذلك بعد أن انتشر الإسلام في العرب وبعثوا عن الشرك وعادات الجاهلية . انظر صحيح البخاري : ١٥٦/٢ . وصحيح مسلم : ٩٧/٤ فما بعدها .

الفصل الرابع

من أخبار ابن عباس

في حياة ابن عباس نواح متفرقة ومتعددة لا تدخل في إطار خاص ، ولما في هذه الأشياء المتفرقة من فوائد أحببنا أن نفرّد لها قسماً خاصاً في هذا الكتاب ليتكامل الحديث عن هذه الشخصية المسلمة الفذة ، وإليك هذه الجوانب .

تسليته لعائشة وثناؤه عليها عند احتضارها :

عن القاسم بن محمد أن عائشة اشتكت فجاء ابن عباس يزورها ، فقال : يا أم المؤمنين تقدمين على فرط صدق على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر (١) .

وعن ابن أبي مليكة قال : استأذن ابن عباس قبل موتها على عائشة وهي مغلوبة . قالت : أخشى أن يشني علي . فقليل : ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن وجوه المسلمين ، قالت : ائذنوا له . فقال : كيف تجدينك ؟ قالت : بخير إن اتقيت الله . قال : فأنت بخير إن شاء الله : زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكح

(١) البخاري : ٢٢٠/٤ . الفرط : من يتقدم الناس ويسبقهم ليرتاد لهم الماء .

بكرًا غيرك ، ونزل عذرك من السماء . ودخل ابن الزبير خلافة فقالت : دخل ابن عباس فأثنى عليّ ، وددت أني كنت نسيًا منسيًا (١) .

ابن عباس يحكي لنا أخباراً تتعلق بعمر رضي الله عنهما :

سبق أن ذكرنا مقدار صلة ابن عباس رضي الله عنه بعمر وتكريم عمر له ، فكان من البدهي أن يحمل لنا ابن عباس الكثير مما كان يجري في مجلس عمر والكثير من صفاته وأقواله ومواقفه وفيما يلي نسرّد لك بعضاً من ذلك .

● عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحرّ بن قيس ، وكان من نفر الذين يدينهم عمر ، وكان القرّاء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً . فقال عيينة لابن أخيه : يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه ، قال : سأستأذن لك عليه . قال ابن عباس : فاستأذن الحرّ لعيينة فأذن له عمر ، فلما دخل عليه قال : هي يا ابن الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل . فغضب عمر حتى هم به . فقال له الحرّ : يا أمير المؤمنين ، إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وإن هذا من الجاهلين . قال : والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه ، وكان وقافاً عند كتاب الله (٢) .

(١) البخاري : ١٠/٦ . مغلوطة : من شدة كرب الموت . نسيًا منسيًا : النسي بالكسر ما نسي وقيل هو التافه الحقير ، كذا في المصباح وقراءتنا بالفتح .

(٢) البخاري : ١٩٨/٥ . قوله هي : بكسر الهاء وسكون الياء كلمة تهديد ، وقيل : هي ضمير وهناك محذوف أي : هي داهية . الجزل : العطاء الكثير .

● وعن ابن عباس قال : خطب عمر رضي الله عنه ، فذكر الرجم فقال : لا تخذعنّ عنه ، فإنه حدّ من حدود الله ، ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجم ورجمنا بعده ، ولولا أن يقول قائلون : زاد عمر في كتاب الله ما ليس منه ، لكتبت في ناحية المصحف : شهد عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وفلان وفلان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجم ورجمنا بعده ، ألا وإنه سيكون بعدكم قوم يكذبون بالرجم ، وبالذجال ، وبالشفاعة ، وبعذاب القبر ، وبقرم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا (١) .

● وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس بالجابية وقال : يا أيها الناس ، من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب رضي الله عنه ، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت رضي الله عنه ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل رضي الله عنه ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني ، فإن الله جعلني له والياً وقاسماً (٢) .

● هذا وقد روى لنا ابن عباس رضي الله عنه خطبة لعمر خطب بها قبيل طعنه ووفاته منصرفه من الحج ؛ ذكر فيها أن الرجم في كتاب الله حق ، وكيف تمت البيعة لأبي بكر رضي الله عنه في سقيفة

(١) حياة الصحابة : ٢٦٩/٤ . امتحشوا : احترقوا ، وهم عصاة المؤمنين يخرجون من النار بعد أن يمسه العذاب .

(٢) حياة الصحابة : ٧٠٤/٣ هذا وقد روى خطبته في الجابية جمع كثير من الصحابة . ارجع إلى حياة الصحابة ٢٥٣/٤ فما بعدها .

بنسب ساعدة ، وهي خطبة طويلة قيمة ذكرها البخاري في صحيحه (١) . ويجدر بكل مسلم أن يرجع إليها .

ولما لعمر رضي الله عنه في نفس ابن عباس من التقدير والإعجاب قال فيه : أكثروا ذكر عمر رضي الله عنه ، فإن عمر إذا ذكر ذكر العدل وإذا ذكر العدل ذكر الله (٢) .

زيارة علي رضي الله عنه لابن عباس ورسالته إليه :

يروى عن علي بن أبي طالب رحمة الله عليه أنه افتقد عبد الله ابن العباس رحمه الله فقال : ما بال أبي العباس لم يحضر ؟ فقالوا ولد له مولود ، فلما صلى علي رحمه الله قال : امضوا بنا إليه ، فأتاه فهناه فقال : شكرت الواهب ، وبورك لك في الموهوب ، ماسميته ؟ قال : أوجوز لي أن أسميه حتى تسميه ، فأمر به فأخرج إليه فأخذه وحنكه ودعا له ثم رده إليه وقال : قد سميته علياً وكنيته أبا الحسن (٣) .

عن العكلي عن أبيه قال : بلغني عن ابن عباس أنه قال : كتب إليّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بموعظة ما سررت بموعظة سروري بها : أما بعد فإن المرء يسره ذلك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه ، فما نالك من دنياك فلا تكثر به فرحاً ، وما فاتك منها فلا تتبعه أسفاً ، فليكن سرورك بما قدمت ، وأسفك على ما خلفت ، وهمك فيما بعد الموت (٤) .

(١) البخاري : ٢٥/٨ - ٢٩ .

(٢) حياة الصحابة : ٧٥/٤ .

(٣) الكامل للمبرد بشرح المرصفي : ١٩٦/٥ .

(٤) الأمالي للقاللي : ٢٢/١ .

ثناؤه على معاوية بالعلم ، وإكرام معاوية له :

عن كريب مولى ابن عباس رضي الله عنه : أنه رأى معاوية صلى العشاء ثم أوتر بركعة واحدة لم يزد . فأخبر ابن عباس فقال : أصاب أي بني ، ليس أحد منا أعلم من معاوية ، هي واحدة أو خمس أو سبع أو أكثر (١) .

وعن قتادة : قال معاوية : واعجباً للحسن شرب شربة من غسل بماء رومة ففضى نجبه ، ثم قال لابن عباس : لا يسوءك الله ولا يحزنك في الحسن . قال : أما ما أبقي الله لي أمير المؤمنين فلن يسوءني ولن يحزنني . قال : فأعطاه ألف ألف من بين عروض وعين . قال : أقسمه في أهلك (٢) .

إكرام ابن عباس لزيد بن ثابت لعلمه وتأيينه له :

● عن عمار بن أبي عمار : أن زيد بن ثابت رضي الله عنه ركب يوماً ، فأخذ ابن عباس رضي الله عنهما بركابه ، فقال : تنح يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا ، فقال زيد : أرني يدك ، فأخرج يده ، فقبلها . فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا (٣) .

● وعن عمار بن أبي عمار قال : لما مات زيد بن ثابت قعدنا إلى ابن عباس في ظل القصر ، فقال : هكذا ذهاب العلم ، لقد دفن اليوم علم كثير . وقال أيضاً : هكذا يذهب العلم — وأشار بيده

(١) سير النبلاء للذهبي : ١٠٠/٣ وانظر البخاري : ٢١٩/٤ .

(٢) سير النبلاء : ١٠٣/٣ .

(٣) حياة الصحابة : ٣/٣ .

إلى قبره - يموت الرجل الذي يعلم الشيء لا يعلمه غيره ، فيذهب ما كان معه ، وقال : هل تدرون ما ذهاب العلم ؟ هو ذهاب العلماء من الأرض (١) .

حضوره احتضار عمرو بن العاص ووفاته :

قال ابن عباس : دخلت على عمرو بن العاص وقد احتضر ، فدخل عليه عبدالله بن عمرو فقال له : يا عبدالله خذ ذلك الصندوق ، فقال : لا حاجة لي فيه . قال : إنه مملوء مالا . قال : لا حاجة لي به . فقال عمرو : ليته مملوء بعراً . قال : فقلت يا أبا عبد الله ، إنك كنت تقول : اشتهي أن أرى عاقلاً يموت حتى أسأله كيف تجد؟ فكيف تجدك؟ قال : أجد السماء كأنها مطبقة على الأرض وأنا بينهما ، وأراني كأنما اتنفس من خرت إبرة ، ثم قال : اللهم خذ مني حتى ترضى ، ثم رفع يديه فقال : اللهم أمرت فعصينا ونهيت فركبنا ، فلا بريء فأعذر ، ولا قوي فأنتصر ، ولكن لا إله إلا الله (ثلاثاً) ثم فاض (٢) .

تعليم ابن عباس لدعاء يدعو به عند الدخول على السلطان :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إذا أتيت سلطاناً مهيباً تخاف أن يسطو عليك فقل : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أعز من خلقه جميعاً ، الله أعز مما أخاف وأحذر ، أعوذ بالله الذي لا إله إلا هو ، الممسك السموات السبع أن يقعن على الأرض إلا بإذنه ،

(١) حياة الصحابة : ٨٠٨/٣ . وانظر البيان والتبيين للجاحظ : ٢٥٧/١ .

(٢) المبرد بشرح المرفعي : ١٩٦/٣ . خرت إبرة : ثقبها . فاض : خرجت روحه .

من شرّ عبدك فلان وجنوده وأتباعه وأشياعه من الجن والإنس ،
اللهم كن لي جاراً من شرهم ، جلّ ثناؤك وعزّ جارك وتبارك اسمك ،
ولا إله غيرك . (ثلاث مرات) (١) .

حثه على طلب العلم :

عن عكرمة قال : قال لي ابن عباس ولائنه علي : انطلقا إلى
أبي سعيد فاسمعا من حديثه ، فانطلقا فإذا هو في حائط يصلحه ،
فأخذ رداء فاحتبى ، ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى ذكر بناء المسجد ،
فقال : كنا نحمل لبنة لبنة ، وعمار لبنتين لبنتين ، فرآه النبي
صلى الله عليه وسلم فينفض التراب عنه ويقول : ويح عمار يدعوهم
إلى الجنة ويدعونه إلى النار (٢) .

جوابه لملك الروم :

قال المبرد : حدثني بعض الهاشميين أن ملك الروم وجّه إلى
معاوية بقارورة ، فقال : ابعث إلي فيها من كل شيء ، فبعث إلى
ابن عباس ، فقال : لتملأ له ماء ، فلما ورد بها على ملك الروم قال :
لله أبوه ما أدهاه ، فقيل لابن عباس : كيف اخترت ذلك ؟ فقال :
لقول الله عز وجل : « وجعلنا من الماء كل شيء حي » (٣) .

ابن عباس والشعر والأدب :

قال المبرد : ويروى أن ابن الأزرق أتى ابن عباس فجعل
يسأله حتى أمله ، فجعل ابن عباس يظهر الضجر ، وطلع عمر بن

(١) حياة الصحابة : ١٥٣/١ والحبلى : ٣٢٢/١ .

(٢) البخاري : ١١٥/١ .

(٣) شرح الكامل للمرصفي : ٤٢/٥ .

عبد الله بن أبي ربيعة على ابن عباس وهو يومئذ غلام، فسلم وجلس، فقال له ابن عباس : ألا تنشدنا شيئاً من شعرك ؟ فأنشده :

امن آل نعم انت غاد فبكر
غداة غدٍ ام رائح فمهجـر

حتى اتمها وهي ثمانون بيتاً ، فقال له ابن الازرق : الله انت يا ابن عباس ، انضرب إليك اكباد الإبل نسألك عن الدين ، فتعرض؟! ويأتيك غلام من قریش فينشدك سفعاً فتسمعه ؟ ! فقال تالله ما سمعت سفعاً ، فقال ابن الازرق : اما انشدك .

رات رجلاً اما إذا الشمس عارضت
فيخزي وأما بالعشي فيخسر

فقال : ما هكذا قال ، إنما قال : فيضحى ، وأما العشي فيخسر . قال : اوتحفظ الذي قال؟ قال: والله ماسمعتها إلا ساعتى هذه ، ولو شئت أن أردّها لرددتها . قال فأرددها فأنشده إياها (١) .

مؤازرة ابن عباس لأسامة في دعوى له عند معاوية :

قال المبرد : وحدث أن أسامة بن زيد قاول عمرو بن عثمان في امر ضيعة يدعيها كل واحد منهما ، فلجّت بهما الخصومة ، فقال عمرو : يا أسامة ، أتأنف ان تكون مولاي ؟ فقال أسامة : والله ما يسرنى بولائي من رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبك ، ثم ارتفعا إلى معاوية فلجّا بين يديه في الخصومة ، فتقدم سعيد بن العاص إلى جانب عمرو فجعل يلقيه الحجة ، فتقدم الحسن إلى جانب أسامة يلقيه ، فوثب عتبة بن أبي سفيان فصار مع عمرو ، ووثب الحسين فصار مع أسامة ، فقام عبد الرحمن بن أم الحكم

(١) شرح الكامل : ١٦٥/٧ - ١٦٦ .

فجلس مع عمرو ، فقام عبد الله بن عباس فجلس مع أسامة ، فقام الوليد بن عقبة فجلس مع عمرو ، فقام عبد الله بن جعفر فجلس مع أسامة ، فقال معاوية: الجلية عندي؛ حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أقطع هذه الضيعة أسامة . فانصرف الهاشميون وقد قضي لهم (١) .

محاربته الخرافات :

قال عكرمة : كنت عند ابن عباس فمرّ طائر يصيح ، فقال رجل من القوم: خير خير ، فقال ابن عباس : ما عند هذا لا خير ولا شر (٢) .

ما رآه في النوم عند مقتل الحسين :

روى الإمام أحمد عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام نصف النهار ، أشعث أغبر ، معه قارورة فيها دم ، فقلت بأبي وأمي يا رسول الله ما هذا ؟ قال هذا دم الحسين وأصحابه ، لم أزل ألتقطه منذ اليوم . قال عمار: فأحصينا ذلك اليوم فوجدناه قد قتل في ذلك اليوم .

وروى ابن أبي الدنيا بسنده إلى علي بن زيد بن جدعان قال : استيقظ ابن عباس من نومه فاسترجع : وقال: قتل الحسين والله ، فقال له أصحابه : لم يا ابن عباس ؟ فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة من دم فقال : أتعلم ما صنعت امتي من بعدي ؟ قتلوا الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرفعهما إلى الله . فكتبت ذلك اليوم الذي قال فيه وتلك الساعة ، فما لبثوا إلا أربعة

(١) شرح الكامل : ٨/٥ .

(٢) القرطبي : ٢٦٦/٧ .

وعشرين يوماً حتى جاءهم الخبر بالمدينة أنه قتل في ذلك اليوم وتلك الساعة (١) .

إقراؤه القرآن عبد الرحمن بن عوف :

قال ابن عباس : كنت أقرئ رجلاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف (٢) .

تعلمه أبياتاً لصرمة بن قيس في نصره الانتصار للرسول عليه الصلاة والسلام :

أخرج الحاكم عن يحيى بن سعيد قال : سمعت عجزاً من الأنصار تقول : رأيت ابن عباس رضي الله عنهما يختلف إلى صرمة ابن قيس ، يتعلم منه هذه الأبيات :

ثوى في قريش بضعة حجة
يذكر لو ألفى صديقاً موالياً
ويعرض في أهل المواسم نفسه
فلم ير من يؤوي ولم ير داعياً
فلما أتاناً واستقرت به النوى
وأصبح مسروراً بطيبة راضياً
وأصبح ما يخشى ظلامه ظالم
بعيد وما يخشى من الناس باغياً
بذلنا له الأموال من حلّ ما لنا
وأنفسنا عند الوغى والتأسيا
نعادي الذي عادى من الناس كلهم
بحق وإن كان الحبيب المواتياً

(١) البداية والنهاية : ٢٠٠/٨ .

(٢) البخاري : ٢٥/٨ .

ونعلم أن الله لا شيء غيره
وأن كتاب الله أصبح هادياً (١)

ابن عباس وسقاية الحاج :

كانت السقاية متوارثة في أجداد الرسول منذ عبد مناف ، ثم ورثها من بعد ابنه هاشم ، فلم يزل هاشم بن عبد مناف يسقي الحاج حتى توفي ، فقام بأمر السقاية بعده عبد المطلب ، فلم يزل كذلك حتى حفر زمزم ، فعفت على آبار مكة كلها، وكان منها مشرب الحاج . قال : وكانت لعبد المطلب إبل كثيرة ، فإذا كان الموسم جمعها ثم يسقي لبنها بالعسل ، في حوض من آدم عند زمزم ، ويشترى الزبيب فينبذه بماء زمزم ويسقيه الحاج ، لأن يكسر غلظ ماء زمزم ، وكانت إذ ذاك غليظة جداً ، وكان الناس آنذاك لهم في بيوتهم أسقية يسقون فيها الماء من هذه البيار ، ثم ينبذون فيها القبضات من الزبيب والتمر ، لأن يكسر عنهم غلظ آبار مكة ، وكان الماء العذب بمكة عزيزاً لا يوجد إلا لإنسان يستعذب له من بير ميمون وهو خارج من مكة . فلبث عبد المطلب يسقي الناس حتى توفي ، فقام بأمر السقاية بعده العباس بن عبد المطلب ، فلم تزل بيده ، وكان للعباس كرم بالطائف ، وكان يحمل زبيبهِ إليها ، وكان يداين أهل الطائف ويقتضي منهم الزبيب ، فينبذ ذلك كله ويسقيه الحاج أيام الموسم حتى ينقضي في الجاهلية وصدر الإسلام حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح ، فقبض السقاية من العباس بن عبد المطلب ، والحجاجة من عثمان بن طلحة ، فقام العباس بن عبد المطلب فبسط يده وقال : يارسول الله بأبي

(١) حياة الصحابة : ٥٦٢/١ .

أنت وأمي اجمع لنا الحجابة والسقاية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطيكُم ما ترزؤون فيه ، ولا ترزؤون منه ، فقام بين عضادتي باب الكعبة فقال : إلا إن كل دم أو مال أو مائرة كانت في الجاهلية فهي تحت قدميّ هاتين ، إلا سقاية الحاج وسدانة الكعبة ، فإنني قد أمضيتهما لأهلهما ، على ما كانتا عليه في الجاهلية ، فقبضها العباس ، فكانت في يده حتى توفي ، فولياها بعده عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، فكان يفعل فيها كفعله دون بني عبد المطلب ، وكان محمد بن الحنفية قد كلم فيها ابن عباس ، فقال له ابن عباس : مالك ولها ؟ نحن أولى بها في الجاهلية والإسلام ، قد كان أبوك تكلم فيها ، فأقامت البينة طلحة بن عبيد الله ، وعامر بن ربيعة وأزهر ابن عبد عوف ومخرمة بن نوفل أن العباس بن عبد المطلب كان يليها في الجاهلية بعد عبد المطلب ، وجدك أبو طالب في إبله في باديته بعرة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه العباس يوم الفتح دون بني عبد المطلب ، فعرف ذلك من حضر ، فكانت بيد عبد الله بن عباس بعد أبيه ، ولا ينازعه فيها منازع ، ولا يتكلم فيها متكلم حتى توفي ، فكانت بيد علي بن عبد الله بن عباس يفعل فيها كفعل أبيه وجده ، يأتيه الزبيب من ماله بالطائف ، وينبذه حتى توفي ، وكانت بيد ولده حتى الآن (١) .

رأيه في الصحابة الأربعة الخلفاء :

عن عيسى بن طلحة : قلت لابن عباس : أخبرني عن أبي بكر ، قال : كان خيراً كله على الحدة وشدة الغضب . قلت : أخبرني عن

(١) أخبار مكة المشرفة : ٧٠/١ - ٧١ .

عمر ، قال : كان كالمطائر الحذر قد علم انه قد نصب له في كل وجه حباله ، وكان يعمل لكل يوم بما فيه ، على عنف السباق ، قال قلت : أخبرني عن عثمان . قال : كان والله صواماً قواماً لم يخذعه نومه عن يقظته . قال قلت : فصاحبكم - يعني علياً - قال : كان والله مملوءاً حلماً وعلماً ، غرته سابقته وقرابته ، وكان يرى انه لا يطلب شيئاً إلا قدر عليه ، قلت : اكنتم ترونه محدوداً ؟ قال : انتم تقولون ذلك (١) .

حرصه على كتابة ما يسمع من حكمة :

روى رجل كان يجالس ابن عباس قال : قال عثمان بن ابي العاص الثقفي لبيه : يا بني إني قد امجدتكم في امهاتكم ، واحسنت في مهنة اموالكم ، وإني ما جلست في ظل رجل من ثقيف اشتهم عرضه ، والناكح مفترس ، فلينظر امرؤ منكم حيث يضع غرسه ، والعرق السوء قلما ينجب ولو بعد حين . فقال ابن عباس : يا غلام اكتب لنا هذا الحديث (٢) .

مقالة من عمرو بن العاص لابن عباس :

عن إبراهيم بن حويطب قال : قال عمرو بن العاص لعبد الله ابن عباس : إن هذا الأمر الذي نحن وانتم فيه ليس بأول أمر قاده البلاء ، وقد بلغ الأمر بنا وبكم ما ترى ، وما أبقت لنا هذه

(١) البيان والتبيين : ٢٦٦/٣ . والمحدود الذي لا يوفق إلى صواب .

(٢) البيان والتبيين : ٦٦/٧ .

الحرب حباء ولا صبراً ، ولسنا نقول : ليت الحرب عادت ، ولكننا نقول : ليتها لم تكن كانت ، فانظر فيما بقي بغير ما مضى ، فإنك رأس هذا الأمر بعد علي ، وإنما هو أمير مطاع ، ومأمور مطيع ، ومشاور مأمون ، وأنت هو (١) .

أول من عرف بالبصرة :

ابن عباس أول من عرف بالبصرة ، فكان يصعد المنبر ليلة عرفة ، ويجتمع أهل البصرة حوله فيفسر شيئاً من القرآن ، ويذكر الناس من بعد العصر إلى الغروب ثم ينزل فيصلي بهم المغرب ، وقد اختلف العلماء بعده في ذلك ، فمنهم من كره ذلك وقال : هو بدعة لم يعملها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه إلا ابن عباس ، ومنهم من استحب ذلك لأجل ذكر الله وموافقة الحجاج (٢) .

(١) البيان والتبيين : ٢/٢٩٨ .

(٢) البداية والنهاية : ٨/٢٩٩ - ٣٠٠ .

الفصل الخامس

من أقواله وبعض ما قيل فيه

لابن عباس رضي الله عنه أقوال مشهورة وخطب مأثورة ، تتم عن وعي كامل ، وعقل راجح ، وربما كانت هذه الأقوال خلاصة تجاربه في الحياة ، أو نفحة من النفحات اقتبسها من منبع الحكمة عليه الصلاة والسلام ، ولقد حظيت كتب الحديث والأدب بجملة سالحة من أقواله وخطبه .

كما إن هناك أقوالا قيلت في الثناء عليه وامتداحه وبيان فضله وعلو شأنه ونحن فيما يلي ننقل لك جملة سالحة من ذلك .

١ - من أقواله

● لا تزهد في المعروف : لا يزهدنك في المعروف كفر من كفره ، فإنه يشكرك عليه من لم تصطنعه إليه « يريد الله سبحانه (١) » .

● حق الجليس : قال ابن عباس : لجليسي عليّ ثلاث : أن أرميه بطرقي إذا أقبل ، وأوسع له إذا جلس ، وأصفي له إذا حدث (٢) .

(١) الكامل للمبرد : ١٢٣/٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٠٥/٢ .

● **إيناس الداخل** : قال ابن عباس : إن لكل داخل دهشة فأنسوه بالتحية (١) .

● **إيثاره السلامة** : قيل لابن عباس : أيما أحب إليك ؟ رجل يكثر من الحسنات ويكثر من السيئات ، أو رجل يقل من الحسنات والسيئات قال : ما أعدل بالسلامة شيئاً (٢) .

● **قل لا أدري** : قال ابن عباس رضي الله عنه : إذا ترك العالم قول لا أدري أصيبت مقاتله (٣) .

● **خذ الأحسن** : قال رضي الله عنه : العلم أكثر من أن يحصى فخذوا من كل شيء أحسنه (٤) .

● **أدب الحديث** : ومن أقواله ووصاياه في أدب الحديث ما رواه عكرمة عنه أنه قال : حدث الناس كل جمعة مرة ، فإن أبيت فمرتين ، فإن أكثرت فثلاث مرات ، ولا تملّ الناس هذا القرآن ، ولا الفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتملمهم ، ولكن انصت ، فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه ، فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه ، فإني عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب (٥) !

● **قضاء الحاجات** : قال رضي الله عنه : ما رأيت أحداً

(١) البيان والتبيين : ٩١/٢ .

(٢) المصدر السابق : ٢٥٧/٣ .

(٣) البيان والتبيين : ٣٩٨/١ وانظر حياة الصحابة : ٧٢٣/٣ .

(٤) البيان والتبيين : ٤٠٤/١ .

(٥) البخاري : ١٥٣/٧ .

أسعفته في حاجة إلا اضاء ما بيني وبينه ، ولا رايت رجلاً رددته عن
حاجة إلا أظلم ما بيني وبينه (١) .

● **اجتنب البغي :** قال ابن عباس : لو أن جبلاً بغى على جبل
لدك الباغي ، وقال : ما ظهر البغي في قوم قط إلا ظهر فيهم
الموتان (٢) .

● **من هم العلماء الربانيون :** أخرج أبو نعيم في الحلية ، عن
وهب بن منبه قال : أخبر ابن عباس رضي الله عنهما أن قوماً عند
باب بني سهم يختصمون (أظنه قال : في القدر) فنهض إليهم
وأعطى محبته عكرمة ، ووضع إحدى يديه عليه والآخرى على
طاووس ، فلما انتهى إليهم أوسعوا له ورحبوا به فلم يجلس ،
فقال لهم : انتسبوا لي أعرفكم ، فانتسبوا له - أو من انتسب
منهم - فقال : أوما علمتم أن الله تعالى عبداً أصمتهم خشيته
من غير بكم ولا عي ، وإنهم لهم العلماء والفصحاء والطلقاء والنبلاء ،
العلماء بأيام الله عز وجل ، غير أنهم إذا تذكروا عظمة الله عز وجل
طاشت لذلك عقولهم ، وانكسرت قلوبهم ، وانقطعت ألسنتهم ،
حتى إذا استفاقوا من ذلك تسارعوا إلى الله عز وجل بالأعمال
الزاكية ، يعدّون أنفسهم مع المفرطين وإنهم لا كياس أقوياء ، ومع
الظالمين والخطائين ، وإنهم لأبرار برآء ، إلا أنهم لا يستكثرون له
الكثير ، ولا يرضون له القليل ، ولا يدلّون عليه بالأعمال ، هم حيثما
لقيتهم مهتمون مشفقون ، وجلون خائفون ، قال : وانصرف عنهم
فرجع إلى مجلسه (٣) .

(١) شرح الكامل للمبرد : ٧٥/٥ .

(٢) الحلية : ٣٢٢/١ . الموتان بضم الميم : الموت الكثير .

(٣) الحلية : ٣٢٥/١ .

● **مكانة حملة العلم عند الله والناس :** عن سفيان بن عيينة قال : بلغنا عن ابن عباس أنه قال : لو أن حملة العلم أخذوه بحقه وما ينبغي لأحبهم الله وملائكته والصالحون ، ولهايهم الناس ، ولكن طلبوا به الدنيا فأبغضهم الله وهانوا على الناس (١) .

● **في أداء حق الله وقاية من الوقوع في المكروه :** في الحلية لأبي نعيم : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : عليك بالفرائض ، وما وظف الله تعالى عليك من حقه ، فأدّه واستعن الله على ذلك ، فإنه لا يعلم من عبد صدق نية وحرصاً فيما عنده من ثوابه إلا آخره عما يكره ، وهو الملك يصنع ما يشاء (٢) .

● **اصبر تنل ما قدر لك من الحلال :** وفي الحلية أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ما من مؤمن ولا فاجر إلا وقد كتب الله تعالى له رزقه من الحلال ، فان صبر حتى يأتيه آتاه الله تعالى ، وإن جزع فتناول شيئاً من الحرام نقصه الله من رزقه الحلال (٣) .

● **الاحتراز من القول بالراي :** عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إنما هو كتاب الله وسنة رسوله ، فمن قال بعد ذلك برأيه فما أدري أفي حسناته يجد ذلك أم في سيئاته (٤) .

● **وصفه نفسه بثلاث خصال :** عن عبد الله بن بريدة قال : شتم رجل ابن عباس فقال : إنك لتشتمني وفيّ ثلاث : إني لأسمع

(١) حياة الصحابة : ٨٠٣/٣ .

(٢) الحلية : ٣٢٦/١ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) حياة الصحابة : ٧٨٠/٣ .

بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأجبه ، ولعلي لا اقاضي إليه أبداً ، وإني لأسمع بالفيث يصيب البلاد من بلدان المسلمين فأفرح به ، وما لي بها سائمة ولا راغية ، وإني لآتي على آية من كتاب الله تعالى فوددت أن المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما أعلم (١) .

● **ذهب الناس :** قال ابن عباس: ذهب الناس وبقي النسناس . قيل : ما النسناس ؟ قال : الذين يشبهون الناس وليسوا بالناس (٢) .

● **أنا على ملة رسول الله :** عن ابن عباس : قال لي معاوية : أنت على ملة عليّ ؟ قلت : ولا على ملة عثمان ، أنا على ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) .

● **أحب أن يرفع عملي وأنا صائم :** عن سعد بن أبي سعيد قال : كنت عند ابن عباس فجاءه رجل فقال : يا ابن عباس كيف صومك ؟ قال : أصوم الإثنين والخميس ، قال : ولم ؟ قال : لأن الأعمال ترفع فيهما فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم (٤) .

● **كونوا ربانيين :** قال ابن عباس : كونوا ربانيين حلماء فقهاء علماء . ويقال : الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره (٥) .

(١) الإصابة : ٩٤/٤ والحلية : ٣٢٢/١ .

(٢) سير النبلاء : ٢٣٠/٣ والحلية : ٣٢٨/١ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

(٥) البخاري : ٢٥/١ .

● **اتباع الهوى : قال ابن عباس : الهوى إله معبود .**
وتلا قول الله عز وجل : « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم (١) » .

● **امتناعه عن إعطاء الشعراء : لما مدح عتبة بن مرداس**
عبد الله بن عباس قال : لا أعطي من يعصي الرحمن ويطيع الشيطان
ويقول البهتان (٢) .

● **إنزاله الناس منازلهم : عن ميمون بن مهران قال :**
سمعت ابن عباس يقول : ما بلغني عن أخ مكروه قط إلا أنزلته
إحدى ثلاث منازل : إن كان فوقي عرفت له قدره ، وإن كان
نظيري تفضلت عليه ، وإن كان دوني لم أحفل به . هذه سيرتي
في نفسي ، فمن رغب عنها فأرض الله واسعة .

● **قراءة القرآن مع التفكير : وعن ابن عباس قال : لأن أقرأ**
البقرة في ليلة واتفكر فيها أحب إليّ من أن أقرأ القرآن هذومة .

● **القربة في نظر ابن عباس : عن ابن عباس قال : لأن أعول**
أهل بيت من المسلمين شهراً أو جمعة أو ما شاء الله أحب إليّ من
حجة بعد حجة ، ولطبق بدائق أهديه إلى أخ لي في الله أحب إليّ
من دينار أنفقته في سبيل الله عز وجل (٣) .

● **وصفه الدينار والدرهم على لسان إبليس : وعن ابن عباس**
قال : لما ضرب الدينار أخذه إبليس فوضعه على عينيه وقال : أنت

(١) البيان والتبيين : ٢٣٥/١ .

(٢) البيان والتبيين : ٢٨٤/١ .

(٣) صفة الصفوة : ١/٧٥٤ - ٧٥٦ . والحلية : ٣٢٨/١ .

ثمرة قلبي وقرّة عيني ، بك اطني ، وبك اكفر ، وبك ادخل الناس النار ، رضيت من ابن آدم بحب الدنيا أن يعبدك (١) .

وعن ابن عباس قال : آخر شدة يلقاها المؤمن الموت .

وعنه قال : خذ الحكمة ممن سمعت ، فإن الرجل ليتكلم بالحكمة وليس بحكيم ، فتكون كالرمية خرجت من غير رام (٢) .

● **ذهاب العقل** : عن مجاهد عن عبد الله رضي الله عنه قال : يأتي على الناس زمان يعرج فيه بعقول الناس حتى لا تجد فيه أحداً ذا عقل (٣) .

● **ما هو أعظم من الذنب** : عن الضحاك عن ابن عباس قال : يا صاحب الذنب لا تأمنن من سوء عاقبته ، ولما يتبع الذنب أعظم من الذنب إذا عملته ، فإن قلة حيائك ممن على اليمين وعلى الشمال وانت على الذنب أعظم من الذنب الذي عملته ، وضحكك وانت لا تدري ما الله صانع بك أعظم من الذنب ، وفرحك بالذنب إذا ظفرت به أعظم من الذنب ، وحزنك على الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب إذا ظفرت به ، وخوفك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظم من الذنب إذا عملته (٤) .

● **لا تجب من يسأل عما لا يعنيه** : قال عكرمة : قال لي ابن

(١) صفة الصفوة : ٧٥٧/١ والحلية ٣٢٨/١ .

(٢) الحلية : ٣٢٨/١ .

(٣) صفة الصفوة : ٧٥٧/١ .

(٤) الحلية : ٣٢٤/١ .

عباس : انطلق فأفت الناس فأنا لك عون ، قال : قلت : لو أن هذا الناس مثلهم بين لأفتيتهم ، قال : انطلق فأفت الناس ، فمن جاءك يسألك عما يعنيه فأفته ، ومن سألك عما لا يعنيه فلا تفته ، فإنك تطرح عنك ثلثي مؤونة الناس (١) .

● **إذا جاء القدر لم ينفع الحذر** : قيل لابن عباس : كيف تزعمون أن سليمان بن داود عليهما السلام كان إذا صار في البراري ، حيث لا ماء ولا شجر ، فاحتاج إلى الماء ، دله على مكانه الهدد ، ونحن نغطي له الفخ بالتراب الرقيق ، ونبرز له الطعم ، فيقع فيه جهلاً بما تحت ذلك التراب ، وهو يدل على الماء في قعر الأرض الذي لا يوصل إليه إلا بأن يحفر عليه القيم الكيس ؟ . قال : فقال ابن عباس رضي الله عنهما : إذا جاء القدر لم ينفع الحذر (٢) .

● **أرفقوا بزواج رسول الله** : قال عطاء : حضرنا مع ابن عباس جنازة ميمونة بسرف ، فقال ابن عباس : هذه زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا رفعتم نعشها فلا تززعوها ولا تزلزلوها ، وأرفقوا ، فإنه كان عند النبي صلى الله عليه وسلم تسع ، كان يقسم لثمان ولا يقسم لواحدة (٢) .

● **إن خير هذه الأمة أكثرها نساء** : عن سعيد بن جبير

(١) معجم الأدباء : ١٨٣/١٢ .

(٢) الحيوان للجاحظ : ٣٠٩/٦ - ٣١٠ وانظر المصدر نفسه : ٥١٣/٣ وانظر شرح الكامل : ١٦١/٧ .

(٣) البخاري : ١١٧/٦ .

قال : قال لي ابن عباس : هل تزوجت ؟ قلت : لا ، قال : فتزوج ، فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء (١) . والمراد بخير هذه الأمة النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم .

● **دعاؤه إذا شمت :** عن أبي جمرة قال : سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول إذا شمت : عافانا الله وإياكم من النار ، يرحمكم الله (٢) .

● **ترغيبه في العلم :** عن علي الأزدي قال : سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن الجهاد فقال : ألا أدلك على ما هو خير لك من الجهاد ؟ تجيء مسجداً فتعلم فيه القرآن والفقه في الدين (أو قال : السنة) .

وعن علي الأزدي قال : سألت ابن عباس عن الجهاد فقال : إلا أدلك على ما هو خير لك من الجهاد ؟ تبني مسجداً تعلم فيه القرآن وسنن النبي صلى الله عليه وسلم والفقه في الدين (٣) .

● **من أدعيته :** عن سعيد بن جبیر كان عبد الله بن عباس يقول : اللهم إني أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والأرض أن تجعلني في حرزك وحفظك وجوارك وتحت كنفك .

وعن سعيد قال : كان ابن عباس يقول : اللهم قنعني (٤) وبارك لي فيه ، واخلف على كل غائبة بخير .

(١) البخاري : ١١٨/٦ .

(٢) حياة الصحابة : ٨٤/٣ .

(٣) حياة الصحابة : ٦٤٢/٣ .

(٤) أي بما رزقتني .

وعن طاووس قال : سمعت ابن عباس يقول : اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى ، وارفع درجته العليا ، وأعطه سؤله في الآخرة والأولى ، كما آتيت إبراهيم وموسى عليهما السلام (١) .

● **قوله في فضل بعض الأذكار :** في الحلية عن ابن عباس قال : من قال بسم الله فقد ذكر الله ، ومن قال الحمد لله فقد شكر الله ، ومن قال الله أكبر فقد عظم الله ، ومن قال لا إله إلا الله فقد وحد الله ، ومن قال لا حول ولا قوة إلا بالله فقد أسلم واستسلم وكان له بها كنز في الجنة (٢) .

● **من خلال الجاهلية :** عن عبيد الله سمع ابن عباس رضي الله عنهما قال : خلال من خلال الجاهلية : الطعن في الأنساب ، والنياحة ، ونسي الثالثة ، قال سفيان : ويقولون : إنها الاستسقاء بالأنواء (٣) .

● **زجره للسانه عن الاسترسال في الكلام :** في الحلية لأبي نعيم عن سعيد الجريري عن رجل قال : رأيت ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أخذ بثمرة لسانه وهو يقول : ويحك قل خيراً تغنم ، واسكت عن شر تسلم . فقال له رجل : يا ابن عباس ، ما لي أراك أخذاً بثمرة لسانك تقول كذا ؟! قال : إنه بلغني أن العبد يوم القيامة ليس هو على شيء أحق منه على لسانه (٤) .

(١) حياة الصحابة : ١٧١/٤ .

(٢) الحلية : ٣٢٢/١ .

(٣) البخاري : ٢٣٨/٤ .

(٤) الحلية : ٣٢٨/١ وحياة الصحابة : ٢٧٢/٣ .

٢ - بعض ما قيل فيه :

إن كنا نريد أن نذكر بعض ما قيل فيه فإنما يكون ذلك من قبيل إتمام البحث ، وإلا فقد أصبح ابن عباس رضي الله عنه غنياً عن المديح بعد أن أطبق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على احترامه وتعظيمه والرجوع إليه عند كل مشكلة .

هذا ولقد مرّ بك عند الحديث عن علمه وفقهه بعض من الثناء عليه ، ونذكر لك فيما يلي بعضاً من أقوال الصحابة والتابعين وغيرهم فيه :

أقوال الصحابة :

● **ثناء عمر بن الخطاب عليه :** ثبت عن عمر بن الخطاب أنه كان يجلس ابن عباس مع مشايخ الصحابة ويقول : نعم ترجمان القرآن ابن عباس . وقال له يوماً : أشهد أنك تنطق عن بيت نبوة (١) .

وقال عمر لابن عباس : لقد علمت علماً ما علمناه ، وقال له أيضاً : إنك لأصبح فتياناً وجهاً وأحسنهم عقلاً وافقهم في كتاب الله (٢) . وقال عمر : لا يلومني أحد على حب ابن عباس (٣) .

● **ثناء طلحة بن عبيد الله عليه :** قال طلحة : لقد أعطي ابن عباس فهماً ولقناً وعلماً ، ما كنت أرى عمر يقدم عليه أحداً (٤) .

(١) حياة الصحابة : ٧٩٦/٣ .

(٢) البداية والنهاية : ٢٩٩/٨ .

(٣) سير النبلاء : ٢٣٢/٣ .

(٤) سير النبلاء : ٢٣٢/٣ . اللقن : سرعة الفهم .

● **ثناء عبد الله بن مسعود عليه** : قال : لو أدرك ابن عباس أسناننا فاعثره أحد منا . وقال أيضاً : نعم ترجمان القرآن ابن عباس . وقال أيضاً : لو أن هذا الغلام أدرك ما أدركنا ما تعلقنا معه بشيء (١) .

● **ثناء عائشة عليه** : قالت عائشة : هو أعلم الناس بالحج (٢) .

● **ثناء أبي هريرة عليه** : لما مات زيد بن ثابت الأنصاري قال أبو هريرة : مات حبر هذه الأمة ولعل الله أن يجعل في ابن عباس خلفاً (٣) .

● **ثناء أبي بن كعب عليه** : عن محمد بن أبي بن كعب سمع أباه يقول : - وكان عنده ابن عباس فقام - فقال : هذا يكون حبر هذه الأمة ، أرى عقلاً وفهماً ، وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفقهه في الدين (٤) .

● **ثناء عبد الله بن عمر عليه** : سئل ابن عمر عن شيء فقال للسائل : سل ابن عباس ، فإنه أعلم من بقي بما أنزل الله على محمد . وعن عبد الله بن دينار أن رجلاً سأل ابن عمر عن قوله تعالى : « كانتا رتقا ففتقناهما » فقال : اذهب إلى ذلك الشيخ فسله ثم تعال فأخبرني ، فذهب إلى ابن عباس فسأله فقال :

(١) سير النبلاء : ٢٣٣/٣ .

(٢) الاصابة : ٩٣/٤ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) سير النبلاء : ٢٣٣/٣ .

كانت السموات رتقاء لا تمطر ، والأرض رتقاء لا تنبت ، ففتق هذه بالمطر ، وهذه بالنبات . فرجع الرجل فأخبر ابن عمر فقال : لقد أوتي ابن عباس علماً صدقاً . هكذا لقد كنت أقول : ما يعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن ، فالآن قد علمت انه قد أوتي علماً (١) .

● **ثناء أبي بكر عليه :** قال : أبو بكر : قدم علينا ابن عباس البصرة ، وما في العرب مثله حشماً وعلماً وثياباً وجمالاً وكمالاً .

● **ثناء حسان بن ثابت عليه :** قال حسان : كانت لنا عند عثمان أو غيره من الأمراء حاجة ، فطلبناها إليه بجماعة من الصحابة منهم ابن عباس ، وكانت حاجة صعبة شديدة ، فاعتلّ علينا ، فراجعوه إلى أن عذروه ، وقاموا إلا ابن عباس فلم يزل يراجعهم بكلام جامع حتى سدّ عليه كل حاجة ، فلم ير بداً من أن يقضي حاجتنا ، فخرجنا من عنده وأنا آخذ بيد ابن عباس فمررنا على أولئك الذين عذروا وضعفوا فقلت : كان عبد الله أولكم بهم ، قال : أجل . فقلت أمدحه :

إذا ما ابن عباس بدا لك وجهه	رايت له في كل أقواله فضلا
إذا قال لم يترك مقالا لقائل	بمنتظمات لا ترى بينها فصلا
كفى وشفى ما في الصدر ولم يدع	لذي إربة في القول جداً ولا هزلا
سموت إلى العليا بغير مشقة	فلنت ذراها لا دنياً ولا وغلا
خلقت حليفاً للمروءة والندي	بليجاً ولم تخلق كهاماً ولا خبلا (٢)

(١) الإصابة : ٩٢/٤ .

(٢) الإصابة : ٩٠/٤ وسير النبلاء : ٢٣٧/٣ .

● **ثناء معاوية عليه :** عن عكرمة : سمعت معاوية يقول لي :
مولاي والله أفقه من مات ومن عاش (١) .

أقوال التابعين وغيرهم :

● **عروة بن الزبير قال :** ما رأيت مثل ابن عباس قط .

● **عطاء بن أبي رباح قال :** ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس ، أكثر فقهاً وأعظم خشية ، إن أصحاب الفقه عنده ، وأصحاب القرآن عنده ، وأصحاب الشعر عنده ، يصدرهم كلهم من وادٍ واسع .

● **طاووس بن كيسان قال :** رأيت سبعين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تدارؤوا في أمر صاروا إلى قول ابن عباس . وقال : أدركت خمسين أو سبعين من الصحابة إذا سئلوا عن شيء فخالفوا ابن عباس لا يقومون حتى يقولوا هو كما قلت ، أو صدقت . وقال : ما رأيت أروع من ابن عمر ، ولا أعلم من ابن عباس . وقال : كان ابن عباس قد بسق على الناس في العلم كما بسق النخلة السحوق على الودي الصفار . وقال : ما رأيت أحداً أشد تعظيماً لحرمة الله عز وجل من ابن عباس ، والله لو أشاء - إذا ذكرته - أن أبكي لبكيت .

● **مجاهد بن جبير قال :** ما رأيت أحداً قط مثل ابن عباس ، ولقدمات يوم مات وإنه لحبر هذه الأمة . وقال : كان ابن عباس يسمى البحر لكثرة علمه . وقال : ما سمعت فتياً أحسن من فتياً ابن عباس . إلا أن يقول قائل : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) سير النبلاء : ٢٣٣/٣ .

● **عبيد الله بن عبد الله قال :** كان ابن عباس قد فاق الناس بخصال : بعلم ما سبق ، وفقه ما احتيج إليه من رأيه ، وحلم ، ونسب ، ونائل ، وما رأيت أحدا أعلم بما سبقه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه ، ولا أعلم بما مضى ، ولا أثقب رأيا فيما احتيج إليه منه ، ولقد كنا نحضر عنده فيحدثنا العشية كلها في المغازي ، والعشية كلها في النسب ، والعشية كلها في الشعر .

● **مسروق بن الأجدع قال :** كنت إذا رأيت ابن عباس قلت : أجمل الناس . فإذا نطق قلت : أفصح الناس ، فإذا تحدث قلت : أعلم الناس .

● **أبو وائل قال :** خطبنا ابن عباس وهو أمير على الموسم فافتتح بسورة النور ، فجعل يقرأ ويفسر ، فجعلت أقول : ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثل هذا ، لو سمعته فارس والروم والترك لأسلمت . وقال : قال رجل : إني لأشتهي أن أقبل رأسه . يعني من حلاوة كلامه .

● **سعيد بن جبير قال :** كنت أسمع الحديث من ابن عباس ، فلو يأذن لي لقبلت رأسه .

● **يزيد بن الأصم قال :** خرج معاوية حاجاً مع ابن عباس ، فكان لمعاوية موكب ، ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم .

● **سفيان بن عيينة قال :** لم يدرك مثل ابن عباس في زمانه ، ولا مثل الشعبي في زمانه ، ولا مثل الثوري في زمانه .

● **القاسم بن محمد قال :** ما رأيت في مجلس ابن عباس باطلا قط .

الحطيئة جروول بن اوس : نظر الحطيئة الى ابن عباس في مجلس عمر - وقد قرع بكلامه - فقال : من هذا الذي نزل عن القوم بسنه ، وعلاهم في قوله ؟ قالوا : هذا ابن عباس فانشأ يقول :
 إني وجدت بيان المرء نافلة يهدى له ووجدت السعي كالصم المرء يبلى ويبقى الكلم سائرة وقد يلام الفتى يوماً ولم يلم (١)

● **الحسن البصري قال :** كان ابن عباس من الإسلام بمنزل ، وكان من القرآن بمنزل ، وكان يقوم على منبرنا هذا فيقرأ البقرة وآل عمران فيفسرهما آية آية (٢) .

● **سعيد بن المسيب قال :** ابن عباس أعلم الناس (٣) .

● **وعن هشام بن حسان وغيره .** قال : قيل للحسن البصري : يا أبا سعيد إن قوماً زعموا أنك تذم ابن عباس ، قالوا : فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال : إن ابن عباس كان من الإسلام بمكان ، إن ابن عباس كان من القرآن بمكان ، وكان والله له لسان سؤول وقلب عقول ، وكان والله مثجاً يسيل عزباً (٤) .

(١) هذه الأقوال مأخوذة من الإصابة : ٩٣/٤ - ٩٤ وسير اعلام النبلاء : ٢٣٢/٣ - ٢٣٦ وصفة الصفوة : ٧٥٣/١ . سبق : ارتفع ذكره دونهم .

(٢) سير النبلاء : ٢٣١/٣ .

(٣) البداية والنهاية : ٣٠١/٨ .

(٤) البيان والتبيين : ٨٥/١ والمنتج : الكثير السائل . والعزب ههنا الدوام .

● وقال الحافظ أبو نعيم في الحلية :

ومنهم اللقن المعلم ، والفطن الملم ، فخر الفخار وبدر الأحبار
وقطب الأفلاك وعنصر الأملاك ، البحر الزخار والعين الحزار ، مفسر
التنزيل ومبين التأويل ، المتفرس الحساس والوضيء اللباس ، مكرم
الجلال ومطعم الأناس ، عبد الله بن عباس رضي الله عنه (١) . .

● وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء :

عبد الله بن عباس البحر ، حبر الأمة ، وفقه العصر ، وإمام
التفسير . أبو العباس عبد الله ابن عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم (٢) .

● وقال ابن كثير في مطلع ترجمة ابن عباس :

هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد
مناف بن قصي ، أبو العباس الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، حبر هذه الأمة ، ومفسر كتاب الله ، وترجمانه ، كان
يقال له الحبر والبحر ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيئاً كثيراً ، وعن جماعة من الصحابة ، وأخذ عنه خلق من
الصحابة ، وأمم من التابعين ، وله مفردات ليست لغيره من
الصحابة ، لاتساع علمه وكثرة فهمه وكمال عقله وسعة فضله
ونبل أصله ، رضي الله عنه وأرضاه (٣) .



(١) الحلية : ٣١٤/١ .

(٢) سير أعلام النبلاء : ٢٢٤/٣ .

(٣) البداية والنهاية : ٢٩٥/٨ .

خاتمة

في يوم من أيام سنة ثمان وستين للهجرة خبا ضوء هذا الكوكب الساطع الذي كان يشيع في الأمة الإسلامية العلم والمعرفة قرابة ستين سنة من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن صعدت روحه إلى بارئها في هذا العام .

نعم مات ابن عباس وغابت شمس علمه عن دنيا الناس - والموت سبيل كل حي - واثلم في صرح البناء الإسلامي ثلثة ماكان ليسدها إلا نظير له في علمه وفقهه وفضله وأدبه وكمال عقله .

وصلى عليه ابن عمه محمد بن الحنفية ولما غيب جسده في باطن الأرض قال محمد : اليوم مات رباني هذه الأمة . ودفن في الطائف (١) .

وأخذ الناس يتبارون في تأبينه والثناء عليه ، فقال رافع بن خديج : مات اليوم من كان يحتاج إليه من بين المشرق والمغرب في العلم .

وقال معاوية : مات والله أفقه من مات ومن عاش (٢) .

(١) سير النبلاء : ٢٤١/٣ .

(٢) البداية والنهاية : ٨/ ٣٠٠ - ٣٠١ .

وقال جابر بن عبد الله - وقد صفق بإحدى يديه على الأخرى
عندما سمع نبأ موته - : مات أعلم الناس وأحلم الناس ، ولقد
أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا ترقى (١) .

ورأى الناس بأم أعينهم أن طائراً أبيض لم ير على خلقته يدخل
في نعشه ثم لا يخرج منه كما ذكر ذلك سعيد بن جبير .

وبينما كان الناس يدلون ابن عباس في لحده سمعوا بأذانهم
تالياً يسمعون صوته ولا يرون شخصه يتلو : « يا أيها النفس
الطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي
جنتي » (٢) .

والحمد لله أولاً وآخراً

(١) حياة الصحابة : ٣ / ٧٩٨ .

(٢) انظر الإصابة وسير النبلاء وحياة الصحابة والبداية والنهاية
والحلية .

تعليق : في كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للقاضي
تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي : ص ٧٧ : المسجد
الذي فيه قبر ابن عباس أظن أن المستعين العباسي عمره مع ضريح
ابن عباس ، واسمه مكتوب في المنبر الذي بهذا المسجد ، واسم
الملك المظفر صاحب اليمن مكتوب في القبة التي فيها ضريح ابن عباس
بسبب عمارته لها .

فهرس

٣	هذا الرجل
٥	المقدمة
١٣	الفصل الأول (لمحات من سيرته وحليته)
٤٠	في صحبة النبي صلى الله عليه وسلم
٥٣	في صحبة عمر رضي الله عنه
٦٥	الفصل الثاني (علمه وفقهه)
٦٥	شخصيته العلمية
٧٤	ابن عباس والفقه
١١٠	ابن عباس والتفسير
١٣٥	ابن عباس والحديث
١٥٥	الفصل الثالث (مواقفه السياسية)
١٧٦	الفصل الرابع (من أخبار ابن عباس)
١٩٠	الفصل الخامس (من أقواله وبعض ما قيل فيه)
٢٠٧	خاتمة

أعلام المسلمين

سلسلة تراجم إسلامية تجمع بين العلم والفكر والتوجيه،
وتتناول أعلام المسلمين في شتى الميادين.

صدر منها:

- ١ - عبد الله بن المبارك (الإمام القدوة).
تأليف محمد عثمان جمال.
- ٢ - الإمام الشافعي (فقيه السنة الأكبر).
تأليف عبد الغني الدقر.
- ٣ - مصعب بن عمير (الداعية المجاهد).
تأليف محمد حسن بريغش.
- ٤ - عبد الله بن رواحة (أمير شهيد وشاعر على سرير من ذهب).
تأليف د. جميل سلطان.
- ٥ - أبو حنيفة النعمان (إمام الأئمة الفقهاء).
تأليف وهبي غاوجي الألباني.
- ٦ - عبد الله بن عمر (الصحابي المؤتسي برسول الله).
تأليف محيي الدين مستو.

- ٧ - أنس بن مالك (الخدام الأمين والمحب العظيم).
تأليف عبد الحميد طهماز.
- ٨ - سعيد بن المسيب (سيد التابعين).
تأليف د. وهبة الزحيلي.
- ٩ - السلطان محمد الفاتح (فاتح القسطنطينية وقاهر الروم).
تأليف د. عبد السلام فهمي.
- ١٠ - الإمام النووي (شيخ الإسلام والمسلمين وعمدة الفقهاء والمحدثين).
تأليف عبد الغني الدقر.
- ١١ - الشيخ محمد الحامد (العلامة المجاهد).
تأليف عبد الحميد طهماز.
- ١٢ - السيدة عائشة (أم المؤمنين وعالمة نساء الإسلام).
تأليف عبد الحميد طهماز.
- ١٣ - الإمام البخاري (سيد الحفاظ والمحدثين).
تأليف د. تقي الدين الندوي المظاهري.
- ١٤ - عبادة بن الصامت (صحابي كبير وفاتح مجاهد).
تأليف د. وهبة الزحيلي.
- ١٥ - عبد الله بن عباس (حبر الأمة وترجمان القرآن).
تأليف د. مصطفى الخن.
- ١٦ - جابر بن عبد الله (صحابي إمام وحافظ فقيه).
تأليف وهبي غاوجي الألباني.
- ١٧ - أحمد بن حنبل (إمام أهل السنة والجماعة).
تأليف عبد الغني الدقر.

- ١٨ - كعب بن مالك (شاعر العقيدة الإسلامية).
تأليف د. سامي مكّي العاني.
- ١٩ - أبو داود (الإمام الحافظ الفقيه).
تأليف د. تقي الدين الندوي المظاهري.
- ٢٠ - أسامة بن زيد (حُبُّ رسول الله وابن حَبِّه).
تأليف د. وهبة الزحيلي.
- ٢١ - معاوية بن أبي سفيان (صحابي كبير وملك مجاهد).
تأليف منير الغضبان.
- ٢٢ - عدي بن حاتم الطائي (الجواد ابن الجواد).
تأليف محيي الدين مستو.
- ٢٣ - مالك بن أنس (إمام دار الهجرة).
تأليف عبد الغني الدقر.
- ٢٤ - عبد الله بن مسعود، (عميد حملة القرآن، وكبير فقهاء الإسلام).
تأليف عبد الستار الشيخ.
- ٢٥ - معاذ بن جبل، (إمام العلماء، ومعلم الناس الخير).
تأليف عبد الحميد طهماز.
- ٢٦ - الإمام الجويني (إمام الحرمين).
تأليف د. محمد الزحيلي.
- ٢٧ - القاضي البيضاوي (المفسّر - المتكلّم - الفقيه - المؤرّخ - الأديب).
تأليف د. محمد الزحيلي.